



نداء قلبي

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ لقاء مضطرب ..

انزوت (صفاء) فى أحد أركان حجرة السكرتارية، الخاصة بمكتب (رشدى سليمان) . رئيس مؤسسة (النيل) للاستيراد والتصدير . بعد أن أخبرها مدير مكتبه بأنه مشغول للغاية . ولا يمكنه مقابلتها . ولكنها أصرّت إصراراً شديداً على مقابلته . فلم يكن من مدير مكتبه إلا أن هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— سأبلغه ذلك على أية حال .

وحمل بعض الأوراق ، واتجه إلى مكتب رئيسه ، على حين تطلّعت (صفاء) إلى الحجرة الواسعة فى مزيج من الرّهبة والخجل . وقد بدت لها الحجرة رائعة التأثيث ، عظيمة الفخامة ، التى فيها الأثاث الفاخر مع أجهزة الكمبيوتر ، ووسائل الاتصال الحديثة ، التى تملأ كل ركن . فتساءلت فى أعماقها فى رهبة :

— إذا كانت هذه حجرة السكرتارية ، فكيف تكون حجرة رئيس المؤسسة ؟

نقلت بصرها إلى مجموعة السكرتيرات . اللاتى يقبعن خلف مكاتبهن الفاخرة ، واللاتى يتميزن بأناقة وجمال غير عاديّين . حتى ليبدون أشبه بعارضات أزياء يتبعن واحداً من أرقى بيوت الأناقة فى العالم . ولسن سكرتيرات فى مؤسسة تجارية . وخيّل إليها ، حينما ارتطم بصرها بعيونهن . أنهن يرمقنها بنظرات متعالية مغرورة . تنقل إليها ما لم تفصح عنه ألسنتهن . من أن وجهها الشاحب . وثوبها الأسود الرخيص . لاينسجمان قط مع المكان . الذى يجمع كل ركن فيه بين الثراء والأناقة والجمال . فانكمشت فى مقعدها . وتضاعف فى أعماقها ذلك الشعور بالرهبة والخجل ، إلا أن إصرارها على مقابلة (رشدى سليمان) لم يتراجع قط ..

وفجأة هبّت واقفة . وسرَتْ فى جسدها رعدة قوية ، حينما انبعث من حجرة رئيس المؤسسة صوت حاد النبرات . ملأ ملامحها بالخوف والاضطراب . على الرغم من باب الحجرة المغلق . ولقد امتدّ ذلك الانطباع . يملأ وجوه السكرتيرات أيضاً . فاختفت

من عيونهن نظرات التعالى والغطرسة ، وحلت محلها نظرات قلقة متوترة ، وهنّ يتطلعن إلى باب حجرة الرئيس ، التى انطلق منها صوت أشبه بزئير أسد يهمّ بالانقضاض ، ميّزت منه (صفاء) كلمات تقول فى انفعال :

– إنكما لستما إلا اثنين من الحمقى ، لا تصلحان إلا لإدارة روضة أطفال ، وليس مؤسسة محترمة .

ويبدو أن السكون الذى ساد لحظات ، بعد تلك العبارة ، كان يحمل محاولة شخص آخر ، داخل الحجرة ، لتبرير موقفه ، إلا أن الصوت الحاد لم يلبث أن تعالى مرة أخرى ، وهو يهتف على نحو أشد حدة وخشونة :

– كفى .. لن أضيع مزيداً من الوقت مع شخصين مثلكما .. يكفى ما تسببتما فيه من خسائر .. ضعا فى اعتباركما أننى لن أتنازل عن قرش واحد ، من التعويض الذى سأطالبكما به .

وفجأة اندفع مدير مكتب الرئيس خارج الحجرة

وجلس خلف مكتبه ممتقع الوجه ، يتصبب عرقاً ، وخلفه اندفع رجلان ، علا الاصفرار وجهيهما ، وبدا عليهما الارتباك واضحاً ، وغادرا حجرة السكرتارية ، وأحدهما يغمغم فى حنق :

– هذا الرجل لا يطاق .

وأضيف إلى مشاعر (صفاء) المضطربة شعور جديد بالحيرة ، بعد أن وجدت نفسها عاجزة عن سؤال مدير المكتب ، الذى يبدو ممتقعاً ، عما إذا كان قد أخبر رئيسه برغبتها فى لقائه أم لا ، إذ بدا لها السؤال ، وسط ذلك المناخ المكفهر ، غير لائق على الإطلاق ، وراودتها رغبة فى الفرار من المكان ، وعدم مواجهة ذلك الرجل المخيف ، ولكن رغبتها لم تختمر أبداً فى أعماقها ، فقد اندفع من الحجرة فجأة رجل قوى البنيان ، واضح العنف ، يرتدى قميصاً أزرق اللون ، حلّ أزرار ياقته ، ليتحرّر من إحكام رباط عنقه ، وشمر عن ساعديه .. وكان يبدو فى الثلاثينات من عمره ، لا يخلو وجهه من وسامة محبّبة ، أفسدها

شعره الأشعث، وأخفتها نظراته النارية . التي تصعب مواجهتها ، والتي انتفض لها كل من في الحجرة . وهبُّوا وقوفاً، وعلى رأسهم مدير المكتب الذي بدا من ارتعادته أنه لم يتأقلم بعد على أسلوب رئيسه . ونظراته المخيفة . على الرغم من السنوات التي عملاها معاً ..

حتى (صفاء) هبَّت واقفة في رهبة . وارتجفت مرة أخرى . حينما سمعت (رشدي سليمان) يقول لمدير مكتبه . في صوت حاد . يتناسب مع مظهره تماماً :

– لا أريد أن أرى هذين الوغدين في مكتبي مرة أخرى . وهذا الأمر للجميع . مفهوم ؟

أجابه الجميع في صوت خافت مرتجف :

– مفهوم يا سيِّدي .

استطرد بمزيد من الحِدَّة :

– أبلغ إدارة العقود أن كل التعاقدات بيننا وبين شركتيهما تعتبر لاغية ، ثم اتصل بالمحامي . واطلب منه اتخاذ الإجراءات اللازمة معهما ، بشأن التعويض .

غمغم مدير المكتب في صوت شديد الخفوت :

– كما تأمر يا (رشدي) بك .

واستدار (رشدي) ليعود إلى مكتبه ، فاستجمعت (صفاء) شجاعتها ، وهتفت به :

– أستاذ (رشدي) .. أيمكنني أن أتحدَّث إليك قليلا ؟

حدَجها الجميع بنظرة دهشة ، وكأنما يستنكرون جرأتها ، على حين التفت إليها (رشدي) بنظراته النارية ، التي جعلتها تنكمش في مكانها مرة أخرى . وعقدت لسانها في حلقها ، فلم تفه بكلمة إضافيـة . وسأل هو مدير مكتبه في حِدَّة :

– مَنْ هذه ؟

تنحنح الرجل في ارتباك ، وهو يغمغم :

– لقد جاءت منذ عدة دقائق ، وترغب في مقابلة سيادتك و ...

قاطعه (رشدي) بلهجة آمرة دون أن يلتفت إليها :

– لست مستعدًّا لاستقبال أي كائن مَنْ كان ، طوال الساعات القادمة .. مفهوم

- مفهوم يا سيّدى .

وعاد يهمّ بدخول حجرته . فتفجّرت ثورة من الإصرار والعناد فى نفس (صفاء) . وصاحت فى صوت قوىّ النبرات :

- أستاذ (رشدى) .. أنا (صفاء) .

تجاهل عبارتها تماماً . وهو يدفع باب مكتبه ، فاستطردت فى حِدّة :

- (صفاء) ابنة الحاج (جاد المولى) .. أمازلت تذكره ؟

صاح بها مدير المكتب . خشية غضب رئيسه :

- كفى يا آنسة .. هلا تفضّلت بمغادرة المكان ؟

ولكن (رشدى) توقف . واستدار يتطلع إليها طويلا . ثم التفت إلى مدير مكتبه ، قائلا فى حزم :

- دعها تدخل .

وواصل طريقه إلى مكتبه فى حِدّة ..

* * *

٢ - الصوت الآمر ..

لم تكن الصورة ، التى تكوّنت فى ذهن (صفاء) ، عن حجرة مكتب (رشدى) ، تختلف كثيراً عن الواقع ، فلقد كانت الحجرة حقًّا مُبْهِرَة ، بكل ما تحويه من أثاث وديكورات ، على نحو قلّ أن يشاهده المرء ، سوى فى الأفلام السينمائية ، التى تبالغ فى وصف حياة أصحاب الملايين ، ولقد دعاها (رشدى) للجلوس على المقعد المقابل لمكتبه ، ثم جلس خلف مكتبه يتطلع إليها فى صمت ، وكانت نظراته هذه المرة هادئة ، متمعّنة ، لا تخلو من الصرامة والقوة ، على نحو يؤكد شخصيته الطاغية ، مما أصاب (صفاء) بارتباك شديد ، جعلها تطرق برأسها فى توتر ، قبل أن يقطع هو الصمت الثقيل قائلا :

- عجباً !! .. أأنت (صفاء) ، ابنة الحاج (جاد) ؟

بدا لها سؤاله عجيباً ، فلاذت بالصمت ، حتى عاد يستطرد فى لهجة أكثر تودّداً :

— لقد كنت طفلة صغيرة نحيلة ، حينما رأيتك لأوّل مرة !

تطلعت إليه (صفاء) ، وهى تغمغم :

— كان ذلك منذ زمن طويل .. كنت حينذاك فى الثامنة .

ابتسم مغمغماً فى استخفاف :

— إذن فأنت تذكرين ! .. كم يبلغ عمرك الآن ؟

أجابته بشىء من الزهو ، وكأنما تفخر بتلك السنوات ، التى نقلتها من الطفولة إلى الأنوثة :

— عشرون عاماً .

تراجع بمقعده دون أدنى انفعال ، وفتح ثلاجته الصغيرة ، المجاورة لمكتبه ، وهو يغمغم :

— عشرون عاماً ؟! .. إنها فترة كافية لتغيير الصور الراسخة فى الأذهان .

وأخرج من ثلاجته علبة مياه غازية مثلجة ، وصبّها فى كأس بلورية ، وضعها أمام (صفاء) ، وهو يقول :

— تفضّلى .

ثم استأنف حديثه قائلا :

— وما أخبار الحاج (جاد) ؟

ارتجفت الكأس فى يدها ، واكتسى وجهها بتعبير حزين ، وترقرقت الدموع فى عينيها ، وهى تضع الكأس على سطح المكتب ، مغمغمة فى أسى :

— لقد توفى منذ شهرين .

قفز من مقعده كمن مسّه تيار كهربى ، وهو يهتف :

— توفى ؟! .. كيف ؟ .. لماذا لم يبلغنى الخبر ؟

أجابته ، وهى تحاول أن تتماسك :

— لقد كان — رحمه الله — مريضاً بقلبه ، ولم يشأ أن يخبرك .

رشدى :

— لماذا ؟

صفاء :

— لأنه كان يعلم أنك ستصرّ على تحمّل تكاليف

علاجه ، حتى ولو اضطر الأمر لإرساله إلى الخارج . وكان يرفض ذلك ؛ لأنه يراه استغلالا لكرمك .

أجابها فى تأثر شديد :

– كيف يفكر على هذا النحو ؟

صفاء :

– لقد منحتنا تلك الشقة ، التى نقيم فيها فى (المنصورة) ، وكنت ترسل إلينا شهريًا نفس الراتب ، الذى كان يتقاضاه أبى ، حينما كان يعمل فى خدمتك ، وأنا أدين لك بهذا الفضل ، فلولاه ما أمكننى مواصلة دراستى ، ولم يكن أبى يرى من المناسب أن نطالبك بما يفوق ذلك .

نهض (رشدى) من خلف مكتبه ، وجلس على المقعد المواجه لها ، قائلا فى عصبية ، طغت على تأثره :

– أتطلقين على ما كنت أفعله صفة الكرم ؟ .. إن الموظف ، الذى يحال إلى التقاعد ، يستحق معاشاً .. أليس كذلك ؟ .. إن والدك – رحمه الله – لم يكن مجرد

موظف يعمل فى خدمتنا ، بل كان أبى يثق به ثقة كاملة ، وأنا كذلك لم أنظر إليه أبداً كمجرد طباخ للأسرة ، وإنما كنت أراه دوماً كصديق حنون مخلص على الرغم من فارق السن بيننا ، والشخص الوحيد المخلص ، الذى يمكننى أن أثق فيه بعد والدى ، وبعد وفاة أبى ، كان لى بمثابة أب حنون ، أفرغ معه همومى ، ويمتص بحلمه عصبيتى وانفعالاتى الزائدة الحادة ، كما لم أعهد فى أى مخلوق آخر . وعندما أخبرنى برغبته فى التقاعد ، بعد أن تقدمت به السن ، وتوفيت زوجته ، رجوته أن يبقى فى منزلنا ، دون أن يطالبه أى مخلوق بأدنى عمل ، وأن يستقدمك من (المنصورة) ، وأبديت له استعدادى لإعالتكم جميعاً ، إلا أنه أصر على الرفض ، وعلى العودة إلى بلدته ، وعلى الرغم من رحيله ، فقد كان يحضر لزيارتى فى انتظام ، حتى انقطعت عنى زياراته فجأة ، وانهمكت أنا فى إدارة أعمال أبى – بعد رحيله – وكان منتهى التقصير منى ألا أحاول زيارته ، والاطمئنان عليه ، مكتفياً بذلك

المبلغ الزهيد الذى أرسله له بريديًّا كل شهر . وأخشى أنه قد لقى ربه متأثراً بذلك الجحود من جانبى . ودون أن أبذل أدنى جهد فى محاولة علاجه . أو حتى إلقاء نظرة أخيرة عليه قبل وفاته .. ثم تتحدثين عن كرمى ؟: أى كرم هذا ؟

كانت عصبيته قد هدأت قليلا . وحل التأثر محلها . تأثر حقيقى يعيد إليك الشعور بآدميته . وبالتعاطف معـــه ..

وحرّك تأثره مشاعر (صفاء) . وأزال من نفسها خوفها منه . بعد أن توحّدت مشاعرهما تجاه والدها الراحل ، وبدا لها مختلفاً تمـاماً عن ذلك الليث الثائر ، الذى رأته يزمجر منذ لحظات . فغمغمت وهى تخرج من حقيبتها مظروفاً ، وتقدمه له :

ـ أشكر لك شعورك هذا نحو أبى ، ولكنها إرادة الله (سبحانه وتعالى) على أية حال . ولقد جئت لأردّ لك المبلغ الذى أرسلته هذا الشهر ، قبل أن تعلم بوفاة أبى ، فلم تعد هناك حاجة لإرساله بعد ذلك .

أجابها مقطب الجبين :

ـ أعيدى المبلغ إلى حقيبتك .. سيبقى كل شىء كما كان . وسيصلك هذا الراتب شهريًّا كالمعتاد ، فلم يصل بى الأمر إلى حد التخلّى عن رعاية ابنة الرجل ، الذى خدمنى ، وخدم والدى بكل الوفاء والإخلاص ، بعد أن تخلّيت عن زيارتى له ، وعيادته فى مرضه .

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ معذرة .. لم يعد باستطاعتى قبول المبلغ ، بعد وفاة والدى .

هتف فى عصبية . وهو يلقى المظروف إليها :

ـ أطيعى ما آمرك به بلا جدال .

هبّت واقفة ، وهى تقول فى عناد :

ـ معذرة يا أستاذ (رشدى) .. سأعمل ، وأدبر احتياجاتى بنفسى .

صاح فى حِدّة :

ـ اسمعى يا فتاة .. إننى أكره من يناقش قراراً أتخذه .. دعى عنك هذه الكبرياء الفارغة ، فما زلت

بعدُ صغيرة . تحتاج إلى الرعاية ، على الرغم من سنوات عمرك العشرين .

استفزّتها هــذه الكلمات . وشعرت فيها بإهانة لأنوثتها . ولشخصيتها . وأدهشها أنه قادر على قلب مشاعرها تجاهه بهذه السرعة . فمن الخوف والرهبة إلى التعاطف والحنان . ثم التحدى والغضب . وقرّرت أن تجيب عبارته الاستفزازية بكلمات تتناسب معها ، وأن تخبره أنها لم تعد طفلة . وأنها تستطيع تدبُّر أمرها دون وصايته . أو إعاناته الشهرية ..

ولكن كل ذلك بقى حبيساً فى صدرها ..

كانت نظراته القوية . المثبتة على وجهها أقوى من إرادتها . ومن قدرتها على النطق ..

وفجأة ارتفع رنين هاتف مكتبه ، فنهض فى حِدّة ودار حول المكتب . وجلس فوق مقعده ، والتقط سمّاعة الهاتف . وشعرت هى بأن هذه المحادثة الهاتفية قد أتت فى موعدها تماماً . لتنتزعها من شعورها بالعجز والضعف . إزاء هذا الرجل ، وسمعته يزمجر

فى غضب . وهو يهتف فى سمّاعة الهاتف :

ـ أمثالك من الكسالى الأغبياء يستحقون القتل رمياً بالرصاص .. الحقْ به قبل أن يسافر ، وحاول أن تصلح ذلك الخطأ ، وإلا فلا تدعنى أرى وجهك بعد اليوم ..

عاودها شعورها بالخوف والرهبة ، وهى تسمعه يتحدّث على هذا النحو . وتلاشت رغبتها فى تحدّيه . والإعلان عن غضبها ، وبدا لها أنه من الأفضل أن تتسلل خارجة ، فى أثناء انشغاله بالحديث الهاتفى . فتحرّكت نحو باب الحجرة فى بطء وحذر ، وكأنها تخشى أن يلحظها وهو على ذلك النحو الثائر ، ولكنها لم تكـد تقترب من الباب حتى أعاد سمّاعة الهاتف إلى موضعها فى عنف ، وصاح بها فى لهجة آمرة غاضبة :

ـ ابقى فى مكانك .

وتسمّرت مكانها فى رعب، وهى لا تدرى ماذا تفعل ، وأصيب تفكيرها بشلل تام ، إزاء ذلك الصوت المخيف .. الصوت الآمر ..

* * *

٣ – بين يديه ..

ظلت (صفاء) مسمَّرة : جامدة فى مكانها ، حتى نهض من خلف مكتبه . واقترب منها قائلا فى صرامة :

– الى أين ؟

أجابته فى صوت مرتجف خائف :

– لقد أعدْتُ لك نقودك . وأخبرتك بكل ما لدىَّ . ولم يعد هناك ما يدعونى للبقاء .

زفر فى حَنَق . وهو يقول فى حِدَّة :

– أنت شديدة العناد مثل المرحوم والدك تماماً .

وصمت برهة مفكراً . ثم استطرد :

– ما طبيعة الشهادة التى تحملينها ؟

– أنا خريجة معهد السكرتارية .

– حسناً .. مادمت ترفضين مساعدتى المادِّيَّة ، فسأقدِّم لك عرضاً آخر .. ما رأيك بالعمل كسكرتيرة لى ؟ ... ستحصلين على راتب جيِّد .

حاولت أن تتكلم . ولكنه تابع فى حزم :

– لا اعتراض .. إنها ليست إعانة مستترة . كما تظنين . إنك ستبذلين جهداً شاقًّا مقابل هذا الراتب.. ستكونين سكرتيرتى الخاصة . ترتِّبين كل مواعيدى وأوراقى . وترافقيننى فى كل الاجتماعات ورحلات العمل . وهذا يحتاج إلى جهد كبير . وليس بالأمر اليسير على الإطلاق . صحيح أنك ستحصلين على راتب جيِّد . ولكنك ستعملين مقابل كل قرش فيه .

غمغمت فى خفوت :

– ولكننى أريد أن أقول ..

قاطعها مرة أخرى فى حِدَّة :

– لا تثيرى ضيقى أكثر من ذلك.. ستبقين تحت رعايتى ، هذا قرارى الأخير ، وأنا واثق أننى لو كنت قد التقيت بوالدك ، قبل أن توافيه المنية . ما أوصانى بغير ذلك .

غمغمت (صفاء) فى حيرة :

– ولكننى لست أعرف أحداً فى (القاهرة) .

ولن أجد أى أقارب أقيم معهم ، حينما أعمل هنا .

مسَح عينيه المرهقتين ، قائلا :

— لا مشاكل .. ستقيمين فى منزلى .

حدّقت فى وجهه بدهشة واستنكار ، وبدا لها أنه قد تجاوز كل الحدود المقبولة ، قبل أن يستدرك فى حـــدة :

— لِمَ تتطلعين إلىّ هكذا ؟ .. إنك ستقيمين مع أمى .. إننا نملك منزلا كبيراً ، يحوى العديد من الحجرات ، وإقامتك به ، فى غير أوقات العمـــل ، لن تسبب أية مشاكل على الإطلاق .

ازدردت لعابها ، وهى تغمغم فى توتر :

— أستاذ (رشدى) .. لِمَ لا تمنحنى الفرصة للكلام ؟

أشاح بوجهه ، وهو يعودِ إلى مكتبه ، وكأنما يعلن إصراره على قراره ، قائلا :

— لأن خبرتى الطويلة علمتنى أن أقرأ فى عيون مَنْ أمامى ما يريدون قوله ، قبل أن ينطقوا به ، وأن

ما ستقولينه لن يتجاوز العبارات المألوفة السخيفة ، مثل أن هـذا لا يصح ، أو ذاك لا يجوز ، ولست أريد ... إلى آخر هذه الحماقات غير العملية ، التى لا تتناسب مع طموح وإصرار فتاة ترغب فى شق الحياة وحدها .. إننى أعرض عليك عملاً جيّداً ، براتب معقول ، ورعاية والدتى المسنة أيضاً ، مقابل الإقامة إلى جوارها ، وهذا يعنى أنه ما من أحد يملك فضلا عليك ، وحينما ترغبين فى الزواج ، يمكنك مغادرة المنزل إلى منزل زوجك ، أو حتى الاستقالة ، فلن يعترض أحد حينذاك ، وإلى ذلك الحين سأكون مسئولا عنك ، أمام روح والدك الراحل .

وقبل أن تنطق بكلمة ، ضغط زرًّا فوق مكتبه ، فدخل إلى حجرته مدير المكتب ، فابتدره قائلا :

— أعِدّ عقد عمل للآنسة (صفاء) .. ستكون منذ اليوم سكرتيرتى الخاصة ، واتصل بالسائق ليعدّ سيارتى خلال نصف ساعة .

لم يُخف مدير المكتب دهشته ، من ذلك التعيين

المفاجئ . إلا أنه هز رأسه فى احترام ، قائلا :
— كما تأمر يا سيدى .. تفضلى معى يا آنسة (صفاء) .
وتشاغل (رشدى) بمراجعة بعض الأوراق على مكتبه . كما لو كان قد أنهى الأمر نهائيًا ، على حين غادرت (صفاء) الحجرة مع مدير المكتب ، وهى تشعر بأن إرادتها قد سلبت منها . وأنها لم تعد تملك سوى الانصياع لأوامر ذلك الرجل . الذى يمتلك قدرة خارقة على فرض شخصيته على الآخرين ، لا يضاهيها سوى قدرته على إثارة خوفهم منه ، وكراهيتهم له ، حتى وهو يمد لهم يد المساعدة ..
ومن الغريب أنها لم تشعر نحوه بالامتنان ، على الرغم من أنه قد قدم لها مساعدة قيمة بالفعل ؛ قل أن تتوافر لمثلها .. وظيفة ممتازة .. راتب جيد .. إقامة مجانية .. ولكن شيئاً ما كان يحول بينها وبين الشعور بالامتنان تجاهه ..
ربما كانت غطرسته الواضحة ، أو نبراته الحادة

المخيفة ، أو نظراته القوية المؤثرة ، أو استخفافه الدائم بالآخرين ، وعدم إقامته أى وزن لإرادتهم وآرائهم .. أو هو كل ذلك ..
المهم أنها قد وقعت تحت تأثيره ، منذ التقت به ، وهذا ما يخيفها .. يخيفها فى شدة ..

* * *

جلست إلى جواره صامتة ، فى المقعد الخلفى لسيارته ، التى انطلقت فى طريقها إلى منزله ، وتشاغل هو عنها بتصفح بعض أوراقه ، دون أن يعيرها أدنى اهتمام ، على حين أخذت هى ترمقه بطرف عينها ، وكأنما تحاول استشفاف المزيد من شخصيته ..
وفجأة تذكرت أنها تصحبه إلى منزله ، دون أن تحمل حقيبتها ، أو أى من مستلزماتها الشخصية ، وأدهشها أنها قد أسلمت له قيادها على هذا النحو ، الذى أنساها ذلك ، فغمغمت وكأنها تحدث نفسها بصوت مرتفع :
— كان من الضرورى أن أحضر ملابسى وأشيائى .

أجابها فى حزم، ودون أن يرفع عينيه عن أوراقه :

— سأرسل من يحضرها لك ، ولن تحتاجى إليها على أية حال ، فسأحضر لك بعض الملابس الجديدة ، التى تتناسب مع مظهرك كسكرتيرة خاصة لى .

عاد أسلوبه وتعليقه يستفزّان مشاعرها ، فقالت فى عصبية :

— إننى أعرف كيف أحافظ على مظهرى ، دون الحاجة إلى ثيابك الجديدة .

غمغم فى برود :

— سيكون عليك إثبات ذلك .

عبرت السيارة بوّابة ڤيلا (رشدى) فى تلك اللحظة وتطلعت (صفاء) فى انبهار إلى تلك الحديقة الرائعة ، التى تحيط بالڤيلا ، التى تبدو أشبه بالقصر ، قبل أن يقطع (رشدى) انبهارها وهو يقول بلهجته الآمرة :

— انزلى .

هبطت (صفاء) ، وتبعته فى صمت إلى داخل الڤيلا ، حيث قفز انبهارها إلى ذروته ، وعاودها ذلك

المزيج من الرهبة والخوف ، إزاء تلك الفخامة الرهيبة، التى يشفّ عنها كل ركن من أركان الڤيلا ، وسبقها (رشدى) إلى شرفة فسيحة، حيث تجلس سيّدة مسنّة فوق مقعد وثير ، ترتشف قدحاً من القهوة . وتمتّع عينيها بالزهور التى تغطى جدران الشرفة ، وانحنى (رشدى) يقبّل يد السيدة ، قائلا :

— مساء الخير يا أمى .

تطلعت إليه أمه فى حنان ، وهى تقول :

— لماذا تأخرت يا (رشدى) ؟

— كانت لدىّ بعض الأعمال الهامة .

— من الواجب أن تتصل بى هاتفيًا ، حتى لا يصيبنى القلق عليك .

قطب جبينه فى ضيق ، أمام ذلك العتاب ، وهو يزفر قائلا :

— لم أعد صغيراً يا أماه .. إننى الآن رجل أعمال . أدير مؤسسة ضخمة ، ولست أملك وقتى .

تجاهلت الأم انفعالاته ، وهى تقول :

– لست أطالبك بأكثر من محادثة هاتفية .. هل يبدو لك ذلك كثيراً ؟

هزَّ رأسه فى استسلام ، مغمغماً :

– كلاً .. إنه ليس كذلك .. ولكنَّ هناك موضوعاً هامًّا ، أحب أن أخبرك به.. هل تذكرين عم (جاد المولى) ؟

أسندت الأم رأسها إلى مقعدها ، وهى تجيب :

– ومن ذا الذى ينسى ذلك الرجل المخلص الوفى ؟

أطرق (رشدى) برأسه ، مغمغماً :

– لقد نسيناه تماماً للأسف ، حتى أننا كنا نكتفى بإرسال مبلغ من المال إليه ، على الرغم من أن والدى – رحمه الله – قد أوصانا به قبل وفاته .

غمغمت الأم :

– لقد انقطعت عنا أخباره ، وينبغى أن ..

قاطعها فى حزن :

– لقد توفى منذ شهرين .

اختلط الحزن والتأثر فى ملامحها ، وهى تقول :

– مات ؟! .. لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

همس فى اهتمام :

– هناك وسيلة لتعويض تقصيرنا فى حقه .. إن له ابنة فى العشرين . وحيدة بعد وفاته . ولقد منحتها وظيفة سكرتيرة خاصة فى المؤسسة . وستقيم معنا هنا بعض الوقت ؛ لتشرف على رعايتك ، إلى أن تتزوَّج .

غمغمت الأم ، بعد برهة من التفكير

– وأين هى ؟

أشار (رشدى) إلى (صفاء) ، التى تقف وراء زجاج الشرفة . قائلا :

– تعالى يا (صفاء) .

تقدَّمت (صفاء) فى حياء ، وصافحت الأم ، التى تأملتها لحظة فى صمت ، ثم ابتسمت ابتسامة واسعة ، وهى تقول فى حنان :

– مرحباً بك يا بنيتى .. مرحباً بك فى منزلك ..

* * *

٤ ـ طفل فى أعماقه ..

أدركت (صفاء) ، بعد شهر كامل من العمل إلى جوار (رشدى) ، أنه لم يكن مبالغاً بشأن صعوبة عملها معه ، فلقد كانت أيامه مشحونة بالعمل إلى حد أنهكها ، وهى تعجز عن متابعة نشاطه الجم ، الذى لا يكلّ ، ولا يعترف بالتعب ، فى حركة دائمة ما بين مكتبه ، والسفر إلى فروع الشركة المختلفة ، والموانى ، والاجتماعات ، والصفقات ، والمناقشات المضنية ، وكان عليها أن تظل دوماً متقدة الذهن ، مستعدة لتسجيل كل ما يطلبه ، أو يمليه عليها ، وأن تصبح منافسة لأجهزة الكمبيوتر الحديثة ، وهى تتذكر كل خطواته وأعماله ومواعيده ، التى لا حصر لها ..

ولم يكن هذا وحده ما يرهقها ..

هو فى حد ذاته كان مصدر إرهاق بالغ لكل مشاعرها وانفعالاتها النفسية ..

لقد أيقنت ، على الرغم من قربها منه ، خلال

الأيام الماضية ، فى كل خطواته تقريباً ، أنها لن تفلح أبداً فى التآلف معه ، فهو يبدو لها ، خلال مقابلاته ومناقشاته لرجال الأعمال ، من المصريين والأجانب ، ديبلوماسى من الطراز الأول ، يسيطر على الحديث ، ويديره فى مقدرة وذكاء ، إلا أنه لا يلبث أن ينقلب إلى شخص همجى ، لا يقيم وزناً أو اعتباراً لمشاعر الآخرين ، عند أدنى خطإ يصدر منهم ..

ولقد تراوحت مشاعرها تجاهه ما بين الخوف والرهبة أحياناً ، والكراهية والتحدى فى أحيان أخرى ، وكانت تجد دوماً تفسيراً لذلك ، ولكن مبعث حيرتها كان ذلك الشعور الغامض ، الذى يومض وسط كل هذه المشاعر فجأة ، وينطفىء سريعاً ..

ذلك الإحساس الذى تحرّك داخلها ، حينما التقت به أول مرة ، وراح يتحدث عن والدها فى عاطفة ..

إحساس تلك اللحظة ، التى انسلخ فيها عن شخصيته العنيفة المتقلبة ، وتوحّدت مشاعره ومشاعرها فى إطار واحد ..

ذلك الإحساس المبهم نفسه مازال يومض داخلها ، من آن لآخر ، ويبدو خافتاً إلى جوار مشاعرها وأحاسيسها الأخرى تجاهه ..

ذات يوم جلست معه فى مكتبه ، تسجل ما يمليه عليها على آلتها الكاتبة ، فأعلنت الساعة تمام الثامنة مساء . وكشفت أنها تعمل منذ اثنتى عشرة ساعة متصلة ، وكان ذلك كافياً لتشعر بكل التعب والإرهاق فتوقفت أصابعها ، وتهالكت فى إعياء ، فتطلّع إليها قائلا :

– هل تعبت ؟

أجابته فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

– ألا يمكننا أن نحصل على قدر من الراحة ؟

أخذ يدور فى أرجاء الحجرة ، عاقداً كفيه خلف ظهره ، ثم التفت إليها ، قائلا :

– لا بأس .. يمكنك أن تطلبى من السائق إعادتك للمنزل ، وسأبقى أنا بعض الوقت .

وجدت فى نفسها الجرأة لتقول :

– ولكنك مرهق أيضاً وتحتاج إلى قدر من الراحة .

أشعل سيجارته ، وجذب منها نفساً عميقاً ، ثم قال فى سخرية :

– لقد ألِفت التعب والإرهاق ، وصارا جزءاً من تكوينى ، فلا يقلقنك أمرى .

قالت ، وقد شجّعها حديثه على الاسترسال :

– ولكن لكل جسد حدوداً .

تغلبت عليه طبيعته العصبية ، وهو يهتف فى حدة :

– إننى أعلم حدودى جيّداً . أما أنت فتتجاوزين حدودك ، بتدخّلك فى شئونى على هذا النحو .

بدت لها كلماته قاسية ، خالية من اللياقة ، فاحتقن وجهها غضباً ، ولكنه تجاهلها ، وهو يتصل بالسائق هاتفيًّا ، ويطلب منه إعادتها إلى المنزل ، ثم التفت قائلا فى برود :

– هيَّا .. السائق ينتظرك .

تسمّرت فى مكانها لحظة ، وكادت تنفجر فى وجهه غاضبة ، لولا أن صاح فى حدة :

— ماذا تنتظرين ؟

لم تقو إلا على مغادرة المكتب فى خطوات سريعة ، وفى أعماقها غضب هائل مكبوت ، وخجل لا مثيل له ، وشعور غامض ، لم تفهم كنهه أبداً ..

* * *

دلفت (صفاء) إلى حجرة أم (رشدى) ، التى تمدّدت فوق فراشها ، واستغرقت تماماً فى مطالعة رواية كبيرة ، فلم تشعر بوجودها ، حتى طرقت (صفاء) الباب ، وهى تقف على عتبته ، قائلة :

— مساء الخير يا (أمينة) هانم .

رفعت الأم عينيها عن الرواية ، واستقبلتها بابتسامة صافية ، وهى تقول :

— مساء الخير يا (صفاء) .. تعالى .

اقتربت (صفاء) من فراشها ، وقدمت لها كوباً من الماء ، مع أحد أقراص دوائها ، قائلة :

— موعد الدواء يا سيدتى .

اصطنعت الأم تكشيرة كبيرة ، وهى تقول :

— لن أتناوله منك ، ما لم تكفى عن مخاطبتى بكلمتى (هانم) ، و (سيّدتى) .

صفاء :

— ولكن ..

— ولكن ماذا ؟ .. قلت لك مراراً إننى قد حُرمت ابنتى ، التى ماتت فى ريعان الصبا ، وإننى أرى فيك صورة منها ، وأحب أن تخاطبينى بلقب (أمى) .. ألم نتفق على ذلك ؟

أطرقت (صفاء) بوجهها ، مغمغمة :

— بلى .

ابتسمت الأم فى حنان ، وهى تقول :

— حسناً .. بم تخاطب الابنة أمها إذن ؟

تلعثمت (صفاء) ، وهى تغمغم :

— تخاطبها بـ .. بيا أمى .

اتسعت ابتسامة الأم الحانية ، وهى تقول :

— نعم يا (صفاء) .. أسمعينى إياها .. لا يمكنك أن تتصورى كم يسعدنى سماعها من بين شفتيك .

تطلعت إليها (صفاء) فى تعاطف ، مغمغمة :

– أنت شديدة الطيبة يا أماه .

قالت الأم فى تعاطف مماثل :

– وأنت كذلك يا بنيَّتى .. شديدة الطيبة والنقاء ، تماماً مثل المرحوم والدك .

وتناولت منها قرص الدواء ، وابتلعته ، ورشفت بعده القليل من الماء ، وأعادت إليها الكوب مغمغمة :

– شكراً يا بنيتى .. إنك لا تنسين أبداً مواعيد دوائى . على الرغم من انشغالك طيلة اليوم مع (رشدى) وترددت لحظة . قبل أن تردف :

– أيمكنك مجالستى قليلا ؟

جلست (صفاء) على المقعد المجاور للفراش فى هدوء ، على الرغم من شعورها العنيف بالإرهاق ، وهى تتطلع إلى الأم ، التى تابعت :

– معذرة يا بنيتى . لو أننى أطالبك بمجالستى ، على الرغم من علمى بمدى إرهاقك . ولكننى أشعر بوحدة قاسية ، وأحتاج إلى من أتحدث معه قليلا .

ابتسمت (صفاء) ، قائلة :

– يسعدنى الجلوس معك دوماً يا أماه .

تنهّدت الأم فى حزن . قبل أن تقول :

– (رشدى) لا يجلس معى إلا فيما ندر .. لقد صرت بالنسبة إليه كَمًّا مهملا .

شعرت (صفاء) بالعطف تجاهها ، وهى تغمغم :

– ليس الأمر كما تتصورين يا أماه . كل ماهنالك أن أعماله ومسئولياته كثيرة ومتعدّدة ، وهى تحول بينه وبين قضاء الوقت الكافى معك .

همست الأم فى خفوت :

– أخبرينى بكل صراحة يا (صفاء) .. هل يسىء (رشدى) معاملتك ؟

حاولت (صفاء) أن تخفى عنها مشاعرها ، وهى تغمغم :

– على العكس .. إننى سعيدة للغاية بالعمل مع الأستاذ (رشدى) .. إنه ..

قاطعتها تلك النظرة المعاتبة فى عينى الأم ، وهى تربّتت على كتفها ، قائلة :

– إنك لا تجيدين الكذب يا بنيتى ، وعيناك الصافيتان تنطقان بالحقيقة دوماً .. إننى أعلم جيداً أن (رشدى) يعدّ بالنسبة للكثيرين شخصاً لا يطاق ، ولكن صدقينى .. إنه ليس سيئاً إلى هذا الحد .. لست أقول ذلك لأنه ابنى ، ولكن لأننى أعرف ما فى أعماقه جيداً ، أكثر من أى شخص آخر .. إن بداخله طفلا صغيراً ، يمتلىء حبًّا وحناناً ورقة ، ولكنه يحاول إخفاءه دوماً ، خلف مظهر خشن جاف ، ويكره إلى أقصى حد أن يكشف أحد طبيعة ذلك الطفل داخله .

ارتسمت الدهشة على وجه (صفاء) ، وهى تستمع إلى تحليل الأم لشخصية ابنها ، وشعرت بالحيرة وهى تتساءل : أهذا التحليل نابع من أمومتها ؟ ..

أم من فراستها ؟ ..

* * *

٥ – مشاعر حائرة ..

عادت (صفاء) إلى حجرتها ، دون أن تفارقها تلك الحيرة ، فيما قالته الأم عن ابنها ، وراحت تتساءل بدورها : أيمكن أن تختفى خلف طبيعة (رشدى) العنيفة الحادة، شخصية أخرى رقيقة حانية حقًّا ؟! ..

إنها لا تتصوَّره على هذا النحو أبداً ، فكل ما رأته فيه ، ومعه ، من خلال عملها إلى جواره ، وتعاملاته مع الآخرين ، يؤكد أنه رجل بلا مشاعر ، يوقف حياته لعمله فقط ، وللنجاح فيه بأية وسيلة ، حتى ولو كان ذلك على حساب كل من حوله ، ومن يحاول الاقتراب منه ، بل على حساب أعصابه وذاته التى يكاد يفنيها فى العمل ، فعلى الرغم من كونه رجل أعمال ناجحاً ، إلا أنه يعطى من حوله إحساساً مخيفاً ، يدفعهم إلى الابتعاد عنه ، وخشيته إلى أقصى حدّ ، وربما كان ذلك سر نجاحه ..

تمدَّدت على فراشها ، عقدت ساعديها أسفل رأسها ، وأفكارها تتنازعها فى شدة ..

إنها لا تُنكر أنه يتمتع ببعض المبادئ والخصال الحميدة ، على الرغم من فظاظته ، فوفاؤه الشديد لأبيها ، وتأثره الشديد بنبأ وفاته ، وشهامته وإصراره على رعايتها ، وشعوره بالمسئولية تجاهلها ، كلها صفات تشف عن طبيعة إنسانية فى أعماقه ، ولكن – مع الأسف – كل خصاله الطيِّبة تتلاشى أمام ذلك الأسلوب الذى يحكم تصرفاته بصفة عامة ، فمعاملاته الجافة وخشونته ، لا تدعان الفرصة لأحد ، ليذكر شيئاً من أعماله الطيبة ، بل تدفع المتعامل معه دوماً إلى الخوف منه ، أو استفزازه على نحو بغيض .

ولكنها من الضرورى أن تفكر على نحو عملى ، كما قال لها ، فتتجاهل معاملته القاسية ، ولا تندفع وراء انفعال أحمق ، قد تخسر من ورائه كل شىء بعد أن منحها المأوى ، والعمل الجيد ، فى وقت صارت فيه وحيدة ، ثم إنها تتعب وتكد للحصول على راتبها ، ولن يسيئها أن تحتمل بعضاً من خشونته ..

ويمكنها أن تستقل بمسكنها فى إحدى الفنادق

الرخيصة لو أرادت ، لتقلل من سلطانه عليها ، على الرغم من أن أمه تتشبث ببقائها فى المنزل ..

نعم .. إنها ستحتمل ، حتى يمكنها أن تحصل على وظيفة أخرى ، تضمن لها مواجهة هذه الحياة القاسية التى تنتظرها كفتاة يتيمة وحيدة بلا قريب أو مورد ..

لن تسمح لمشاعرها بهزيمتها ، مادامت بحاجة إلى العمل الذى منحها إياه ، وليكن هذا ما يحكم علاقتها به منذ اليوم ..

اشتركت حيرتها مع إرهاقها البدنى ، وأحاط الجميع بذهنها المكدود ، وأطرافها المتهالكة ، فاستسلمت فى بطء إلى نوم عميق .. عميق .. عميق ..

* * *

استيقظت (صفاء) من نومها فى ذعر ، وتطلعت فى هلع إلى ساعتها ، التى أشارت إلى تأخرها عن موعد الذهاب إلى الشركة ، فقفزت من فراشها ، وراحت ترتدى ملابسها على عجل ، وهى تتساءل فى خوف عما يمكن أن يفعله بها (رشدى) ، بسبب تأخرها ..

إنها المرة الأولى ، التى تتأخر فيها عن عملها ، ولكنها واثقة من أنه سيوبخها ، ويؤنبها فى شدة ، أو على الأقل سيرمقها بواحدة من نظراته القاسية النارية ، التى تعلن عن كونها فتاة لاهية ، لا تصلح للعمل مع رجل وافر النشاط مثله ، وسيكون هذا – بالنسبة لها – عقاباً قاسياً ..

وهبطت فى سرعة إلى الطابق الأرضى ، حيث وجدت عم (درويش) الخادم ، فسألته فى توتر :

– متى انصرف الأستاذ (رشدى) ؟

– منذ ساعتين تقريباً يا آنسة (صفاء) .

– ألم يقل شيئاً ما ؟ .. أعنى ألم يسأل عنى ؟

– كلا .. لم يقل شيئاً .. لقد تناول فطوره على عجل ، وغادر المنزل .

هبط قلب (صفاء) بين قدميها ، وهى تتصوَّر أن هذا الأسلوب جزء من إعلان سخطه على موقفها ، وسمعت صوت الأم يناديها من الشرفة :

– صباح الخير يا (صفاء) .

التفتت (صفاء) نحوها ، وشعرت أنها تستمدّ من صوتها الحنون بعض الدفء ، فقالت :

– صباح الخير يا (أمينة) هانم ..

رمقتها الأم بنظرة معاتبة ، فبترت عبارتها ، لتستطرد فى خفوت :

– يا أمى العزيزة .

ابتسمت الأم فى حنان ، وهى تسألها :

– هل نمت جيِّداً أمس ؟

أجابتها (صفاء) فى أسف ، وهى تتجه إليها :

– يبدو أننى قد استغرقت فى النوم ، أكثر من اللازم ، وتأخرت عن موعد ذهابى إلى الشركة ، وسيغضب الأستاذ (رشدى) بالتأكيد .

ابتسمت الأم ، قائلة :

– لقد سافر (رشدى) إلى (باريس) هذا الصباح ، وسيقضى هناك أربعة أيام ؛ لإنجاز بعض الأعمال .

ارتسمت الدهشة على وجه (صفاء) ، وهى تقول :

– سافر ؟! .. ولكنه لم يعلمنى بذلك أمس ؟!

ضحكت الأم ، وهى تقول :

– هكذا (رشدى) دائماً ، لا يمكنك التنبؤ أبداً بما سيفعله غداً .

ولكن (صفاء) وجدت نفسها تهتف فى عصبية :

– ولكننى سكرتيرته الخاصة ، وكان ينبغى أن أعلم ..

عادت الأم تبتسم ، وهى تقول :

– ولماذا كل هذه العصبية ؟

شعرت (صفاء) بالحيرة والخجل من نفسها ، وهى تتساءل : لماذا حقاً هذه العصبية ؟ .. أكان ينبغى عليه أن يخبرها بكل خطواته القادمة ؟ .. إن من حقه أن يسافر وقتما يشاء ، ولا يوجد أدنى سبب يدعوه إلى إخبارها بذلك ، ثم إنها ستحصل على إجازة لعدة أيام ، ترتاح خلالها من عناء العمل المضنى معه ، وينبغى أن يسعدها ذلك ، لا أن يغضبها ! ..

وأيقظها من شرودها صوت الأم ، وهى تقول فى نبرات حزينة :

– سيظل (رشدى) دوماً يحتفظ بعشقه الدائم لعمله ، الذى يستحوذ على كل تفكيره .

رسمت (صفاء) على شفتيها ابتسامة ، أزالت تعبيرها العصبى ، وهى تقول :

– ينبغى أن يسعدك هذا يا أماه ، فهو ناجح ومرموق .

تطلعت إليها الأم بمزيد من الحزن ، وهى تقول :

– أتعتقدين أن هذا وحده يكفى لسعادتى وراحتى ؟. هناك من أمور الحياة ما هو أكثر أهمية من النجاح فى العمل ، حيث لا يكون للثراء أو النجاح معنى بدونه .

تطلعت إليها (صفاء) فى تساؤل ، فأردفت الأم :

– مثل الزواج .. إننى أتمنى أن أرى ابنى الوحيد زوجاً ، قبل أن أفارق الحياة ، ولكن (رشدى) يأبى أن يحقق لى هذه الأمنية .. إنه عازف عن الزواج ، على الرغم من كل الفتيات الجميلات ، اللاتى عرفهن ،

وهو يرفض دوماً لأسباب واهية ، على الرغم من أنه
لا يفتقر إلى ما يحقّق له زواجاً ناجحاً ..

شعرت (صفاء) بالدهشة ؛ لأنها لم تطرح على
نفسها هذا السؤال أبداً . إلا أنها غمغمت فى لهجة لم
تنجح حتى فى إقناعها هى :

– ربما لم يجد الفتاة المناسبة بعد ، أو جذبته دوّامة
العمل ، أو ..

قاطعتها الأم :

– أتعرفين كم يبلغ (رشدى) من العمر ؟ .. إنه
فى الثامنة والثلاثين ، أى أنه على مشارف العقد الخامس
من العمر ، وما زال أعزَب ، وما زلت أتساءل : متى
سيبدأ فى البحث عن زوجه ؟ .. أم أنه سيظل يدور فى
دوّامة العمل ، حتى يغرق داخلها ؟

لم تجد (صفاء) ما تجيب به ، فلاذت بالصمت ،
حتى استطردت الأم :

– إنك تقضين معه وقتاً أطول منى يا بنيّتى ؛
ولقد يئست من الحديث معه حول هذا الموضوع ، فلقد

عرضت عليه فى الأسبوع الماضى الزواج ، من فتاة
يتمناها أى شاب ، من أسرة ثرية عريقة ، وجميلة للغاية
وأهلها يرفضون زواجها من العديدين ؛ لأنهم يعلمون
أنها تميل إلى (رشدى) ، حيث تربط أسرتينا علاقة
قديمة ، إلا أنه يرفض مجرد الحديث فى هذا الأمر .
ولو أنك نجحت فى إثارة الأمر معه .. أعنى ..

قاطعتها (صفاء) فى استنكار :

– أنــا ؟

وسرَتْ فى جسدها رعدة خفيفة ، لمجرَّد التفكير
فى إثارة هذا الموضوع معه ..

لقد هاجمها فى عنف ، لمجرد أنها اقترحت عليه أن
يمنح نفسه بعض الراحة ، من عناء العمل . فما الذى
سيفعله بها ، لو أثارت معه أمراً شديد الخصوصية
والحساسية كهذا ؟

وهزّت رأسها فى أسف ، وهى تقول :

– معذرة يا أماه ، لم أكن أحب أن أرفض لك

أية مطالب . ولكننى لن أجد فى نفسى الشجاعة على مناقشته فى أمر كهذا أبداً .

لم تكد تتم عبارتها حتى تعالى رنين جرس الباب ، وسمعت أحد الأشخاص يتحدث مع الخادم . وحمدت الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأن هذا قد جذب انتباه الأم لحظات ، وخلّصها من شعورها بالحرج ، وأدهشها أن هبّت الأم من مقعدها ، وهى تهتف فى فرح :

– (كمال) ؟ ! .. غير معقول .

التفتت (صفاء) إلى حيث تنظر الأم ، ثم سرت فى جسدها رعدة قوية ..

لقد وجدت أمامها شابًا ممشوق القوام . وسيماً على نحو غير مألوف . وقد أضفت عليه ابتسامته الجذابة سحراً خاصًا .

شاب يصلح لحمل اللقب ، الذى يملأ قلب كل فتاة ..

لقب (فارس الأحلام) ..

* * *

٦ – الزائر الغريب ..

احتضن الشاب الأم ، وهو يهتف فى مرح :

– خالتى العزيزة .. كم افتقدتك كثيراً .

قالت الأم فى عتاب حنون :

– لو أنك تفتقدنى حقًا ، ما تغيبت طوال شهرين كاملين ، دون أن ترسل خطاباً ، أو تتصل هاتفيًا .

انحنى الشاب يقبّل يدها ، قائلا :

– اغفرى لى يا خالتى العزيزة ، إننى أقرّ بذنبى ، ولكنك لا تعلمين كم كنت مشغولا طوال الفترة الماضية .. لقد وصلت إلى (القاهرة) هذا الصباح ، وما أن وضعت حقيبتى بالمنزل ، حتى هرعت إلى هنا لرؤيتك .

ثم تلفت حوله ، هاتفاً :

– ولكن أين (رشدى) ؟ .. لا ريب أنه فى مكتبه بالشركة ، فأمثاله لا يبقون فى منازلهم حتى هذه الساعة ، إلا فى حالة المرض فقط .

قالت الأم :

– لقد سافر (رشدى) لإنجاز بعض الأعمال فى (باريس) ، هذا الصباح .

ضرب (كمال) جبهته بيده ، هاتفاً :

– يا لحظى السيئ .. لقد أوحشنى ذا الوجه العابس كثيراً .

ضربته الأم على يده ، وهى تبتسم ، قائلة :

– ستظل طويل اللسان دوماً .. إياك أن تصف ابنى بذى الوجه العابس .

ضحك قائلا :

– لماذا ؟ .. أليست هذه هى الحقيقة ؟ .. إننى لم أره أبداً ، إلا عابساً ، وعلى كل ، سأتغاضى عن تلك التسمية من أجلك فقط ، ولكن متى يعود ؟

ابتسمت الأم ، وهى تجيب :

– بعد أربعة أيام .

طوّق (كمال) كتف خالته بذراعه ، هاتفاً :

– عظيم .. سنلتقى هذه المرة إذن ، فأنا أنوى قضاء خمسة عشر يوماً فى (مصر) .

همت (صفاء) بالانصراف ، وقد وجدت أن اللياقة تقتضى منها تركهما معاً ، ليتجاذبا أطراف الحديث ، إلا أن الأم هتفت بها :

– إلى أين يا (صفاء) ؟

استدارت إليهما (صفاء) ، والتقت عيناها بعينى (كمَال) لأول مرة ، وبدا وكأنه يراها لأول مرة ، ولقد شعرت بشىء من السعادة ، حينما أطلت من عينيه نظرة دهشة ، لم تلبث أن تحولت إلى الإعجاب ، وهو يتطلع إليها من قمة رأسها ، حتى أخمص قدميها ، بنظرة لا تخطئها غريزة الأنثى أبداً ، حتى ولو كانت بلا تجارب مثلها ، إلا أنها لم تلبث أن طردت فكرة الإعجاب من عقلها ، فشابٌ مثله ، يمتلك كل هذه الوسامة ، إلى جانب الثراء ، لا بد أن تكون حياته ممتلئة بالعلاقات الغرامية ، والفتيات الجميلات ، مما يجعله لا يشعر أبداً بالإعجاب تجاه فتاة عادية مثلها ،

ولقد لاحظت الأم ما أصابها من ارتباك . فتقدمت إليها بابتسامتها الحانية المشجعة ، قائلة :

– نسيت أن أقدم لك (كمال) . ابن شقيقتى – رحمها الله – إنه يقيم معظم شهور السنة فى (بلجيكا) .. وهذه (صفاء) يا (كمال) . سكرتيرة (رشدى) الخاصة . وهى بمثابة ابنتى .

صافح (كمال) (صفاء) ، وهو يقول فى مرح :

– يبدو أن ذوق (رشدى) قد تحسَّن كثيراً ، فلم أعهده ينتخب سكرتيراته . بمثل هذا الجمال الطبيعى الرقيق .

تضرَّج وجه (صفاء) بحمرة الخجل ، وارتجفت أصابعها فى ارتباك ، فسحبت كفها من راحته فى سرعة . وهى تشعر بوقع جميل للإطراء فى نفسها ؛ لأنه أول إطراء حقيقى تسمعه . لو استثنينا المعاكسات السخيفة ، التى كانت تسمعها من الشبان فى أثناء ذهابها وإيابها من مدرستها الثانوية ، ومعهد السكرتارية ،

أما الأم ، فقد رمقت ابن شقيقتها بنظرة تأنيب ، وهى تقول :

– ألم تتخل عن هذه المداعبات الثقيلة ؟ .. لقد أحرجتها .

هتف (كمال) فى مرح :

– ولكننى لم أقل سوى الحقيقة .. إنها حقًّا فاتنة ، حتى أننى أظن أن زهور الشرفة تتوارى خجلا أمام جمالها .

تصاعدت الدماء الحارة إلى وجنتى (صفاء) ، وهى تغادر الشرفة فى خطوات سريعة ، وتلاحقت أنفاسها فى مزيج من السعادة والخجل ، وهى تهرع إلى حجرتها ، وتوصد بابها خلفها ، ثم تتطلع إلى صورتها فى المرآة ، وتسترجع كلمات (كمال) ، وهى تسأل نفسها للمرة الأولى :

– أهى حقًّا جميلة ؟ .. أم أنه يسخر منها ؟ ..

إنها لم تشعر يوماً بأنها تملك ذلك الجمال ، الذى يمكنه أن يدير رءوس الرجال ، ولم يراورها أبداً ذلك

الغرور الأنثوى ، وهى تتطلع إلى وجهها فى المرآة ، ولكن هذا لا يمنع من أنها تستحق لقب (جميلة) ، فعلى الرغم من قوامها النحيل ، وتمردها الدائم على استخدام مساحيق التجميل ، إلا أنها كانت نضرة الوجه ، تملك ابتسامة مشرقة ، وشعراً أسود ناعماً ثقيلاً ، يكاد يغطى كتفيها ، وعيناها الصافيتان تحملان دوماً نظرة طفولية حالمة ، لم تنجح مصاعب الحياة فى انتزاع براءتهما ونقائهما ، أو فتنتهما وإغرائهما .

وفجأة تسمّرت فى مكانها ، وخفق قلبها فى قوة وعنف ، حينما عكست المرآة خلفها صورة (كمال) ، فتحولت إليه فى فزع ، ورأته يبتسم ، وهو يقول :

— المرآة لن تصف جمالك كله . انظرى إلى عينى ، وستجدين صورة أكثر وضوحاً .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وهى تغمغم فى ارتباك :

— كيف دخلت إلى هنا ؟.. ومن سمح لك باقتحام حجرتى على هذا النحو ؟

ضحك قائلا :

— الأمر غاية فى البساطة .. لقد بحثت عنك ، وسألت عم (درويش) عن مكان حجرتك ، فأرشدنى إليها ، ولقد طرقت بابك مرتين ، ولكن يبدو أنك كنت تطالعين وجهك فى اهتمام ، فلم تنتبهى إلى طرقاتى ، فلم أجد بدًّا من فتح باب الحجرة .

قالت فى غضب :

— لم أسمع أية طرقات ، وحتى لو كنت قد فعلت ، ليس من حقك أبداً اقتحام حجرتى على هذا النحو .

لم يتخل عنه مرحه ، وهو يقول :

— حسناً .. إننى أقرّ وأعترف بالخطإ ، ولكن اغفرى لى ، فلقد أنسانى جمالك أصول اللياقة .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول فى تلعثم :

— أستاذ (كمال) .. ألا تعتقد أنك تتجاوز حدود اللياقة ، بالتحدث معى على هذا النحو ؟

أجابها فى بساطة :

— لماذا ؟ .. أيتعارض مع اللياقة أن أعبر لك عن إعجابى الشديد بجمالك ؟

لاذت بالصمت . مما شجعه على الاستطراد :

— إننى لست ممن يجيدون صنع المقدمات . فأنا تلقائى ومباشر . مما يجعلنى أبدو فى نظر البعض بعيداً عن اللياقة ؛ لذا فإننى أرجوك ألا تغضبى . حينما أطلب منك قبول دعوتى ؛ لتناول العشاء فى أى مكان . على الرغم من أن تعارفنا لم تمض عليه دقائق بعد .

أدهشها أسلوبه ، وحيرتها جرأته ، فهزت رأسها نفياً ، وهى تقول :

— يبدو أنك تتصور أنك لم تغادر (بلجيكا) بعد ، حيث يسهل توجيه الدعوات وقبولها فى لحظات . ونسيت تقاليدنا هنا فى (مصر) !

زفر فى ضيق مصطنع . وهو يقول :

— ألا بد من مرور بعض الوقت ، واصطناع المواقف والمقدمات . ليتفق الأمر مع تقاليدنا الشرقية ؟

ما جدوى إضاعة الوقت ، ما دامت النتيجة واحدة فى النهاية ؟ .. إننى لم أطالبك سوى بدعوة بريئة لمشاركتى طعام العشاء ، فلست أحب أن أقضى ليلتى الأولى فى (القاهرة) وحيداً ، ولقد شعرت بميل سريع نحوك ، وأظن أنك تشعرين بنفس الشعور تجاهى .

وجدت نفسها تهتف فى حدة :

— وما الذى يدعوك إلى هذا الاعتقاد ؟ .. أتظن أنك تملك سحراً لا يمكن مقاومته ؟ ! .. يبدو أنك شديد الغرور .

تطلع إليها فى دهشة ، ثم لم يلبث أن أغرق فى الضحك ، وزادتها ضحكاته حِدَّة وانفعالا ، فهمَّت بمغادرة الحجرة ، لولا أن استوقفها ، وهو يقول مغالباً ضحكاته :

— حسناً .. لا داعى للغضب .. إنك تبدين أشبه بـ (رشدى) ، حينما ينفعل لأتفه الأسباب . يبدو أن عملك معه قد طبع بصماته على أسلوبك .

قالت فى عصبية :

– لست أتأثر بأحد .. غادر حجرتى من فضلك، أو أغادرها أنا .

تلاشت ابتسامته ، وهو يقول فى لهجة جادة :

– معذرة .. لم أكن أظن أننى أضايقك إلى هذا الحدّ .. لقد كنت أحتاج إلى من أتحدث إليه حقًّا ، بعد غياب شهرين كاملين عن (مصر) ، خاصة إذا كان الحديث مع شخص يمكنه أن يمنحنى هذا الشعور السريع بالألفة مثلك، ولكننى لن أضايقك أكثر .

واستدار ليغادر الحجرة ، ثم توقف فجأة، والتفت إليها ، قائلا فى لهجة تتعارض مع ملامحه الجادة :

– أأنت واثقة من أن ضميرك لن يؤنبك ، لرفضك دعوة إنسان وحيد بائس ؟

كادت تضحك لأسلوبه الطريف ، إلا أنها تمالكت نفسها ، ورسمت على وجهها الضيق والغضب ، وهى تتجه نحو باب حجرتها فى حِدَّة ، وكأنها ستغادرها ، وتتركها له ، فعاد يستوقفها ، قائلا :

– مهلاً .. سأرحل أنا ، وأتركك لعذاب الضمير .

قال ذلك وهو يضع كفه على قلبه ، على نحو مسرحى ، ثم غادر الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، فأطلقت هى من أعماق صدرها ضحكة صافية ، لم تكد تتلاشى حتى فتح هو الباب ، وأطل برأسه منه ، وهو يقول فى مرح :

– لقد ضحكت .. إذن فلست غاضبة منى .. إننى سعيد لقبولك دعوتى ، وأشكر لك معروفك ، وسأحضر فى الثامنة ؛ لاصطحابك .

حاولت أن تعترض مرة أخرى ، إلا أنه قاطعها بأسلوبه المسرحى الهزلى ، قائلا :

– شكراً لله ؛ لأنك تمتلكين قلباً رحيماً ، عطوفاً يرقّ على البؤساء من أمثالى ..

وأغلق الباب فى سرعة ، قبل أن يسمح لها بالاعتراض . وغادر المنزل مهرولا ..

ولكنه لم يغادره تماماً ..

لقد ترك جزءاً من نفسه داخله ..

فى نفسها ..

* * *

٧ ـ ليلة رائعة ..

توقفت سيارة (كمال) أمام أحد المطاعم الفاخرة . وهبط هو منها ، ليدور حول مقدمتها . ويمد يده إلى (صفاء) . التى تجلس فى المقعد المجاور ، إلا أن (صفاء) ظلت جامدة فى مكانها . تتطلع إلى اليد الممدودة فى خوف وتردد . فهى لم تدر حتى الآن كيف أمكنه إقناعها بدعوته . بهذه السرعة والبساطة . وإن كان من المؤكد أنها لم تكن لتقبل تلك الدعوة أبداً . لولا موافقة (أمينة) هانم عليها ، وتشجيعها لها . لمرافقة (كمال) . والترويح عن نفسها بعض الوقت ..

إنها أول مرة فى حياتها ، تلبى فيها دعوة شاب . لقضاء أمسية فى مكان عام . وهناك شىء ما فى أعماقها يؤنبها على قبولها الدعوة ، ربما كان الخوف من مرافقة شاب لم تتعرفه جيداً ، أو أسلوب تربيتها ، الذى جعلها تشعر أن هذه الدعوات خارجة عن التقاليد . أو الخجل من قلة خبرتها . فى ارتياد مثل تلك الأماكن الفاخرة .. أو كل هذه العوامل مجتمعة ..

ولما طال ترددها . انحنى (كمال) يتطلع إليها بوجه باسم . لا يحمل أدنى لمحة من لمحات الضيق . وهو يقول فى مرح وود :

ـ من الطبيعى أن أظل أمد يدى إليك طويلا ، فمن حق الأميرات الفاتنات أن يدفعن المعجبين بهن من أمثالى إلى الانتظار . لساعات طوال . ولكننى لست أجد مبرراً لكل هذا القلق والخوف فى ملامحك ، من أجل وجبة عشاء بسيطة .

خشيت (صفاء) أن يظن أن ترددها عائد إلى كونها ريفية عديمة الخبرة ، وأشفقت على نفسها من نظرة ساخرة فى عينيه اللتين جعلتاها ترقص طرباً هذا الصباح . حينما حملتا نظرة الإعجاب واللهفة . فمدت يدها إليه ، وتركته يعاونها على مغادرة السيارة ، ثم تأبطت ذراعه ، وسارت إلى جواره ، إلى داخل المطعم ، وهى ترتجف من فرط الرهبة والانفعال . خاصة حينما وقعت عيناها على فخامة المكان ، الذى بدا بقاعته الفسيحة . ورونقه الأخاذ . كمعرض لتحف فنية عالية

الجودة والذوق ، وأدركت هى أن روّاد مثل هـــذا المكان ، هم بالضرورة من الأثرياء ، أو علية القوم ، ولقد تضاعف ارتباكها ، حينما قادهما (المترودوتيل) إلى مائدة خاصة ، وقدّم لهما قائمـة الطعام ، وسمعت (كمال) يسألها فى هدوء :

– ماذا تطلبين ؟

أمسكت القـائمة بأصابع مرتجفـة ، وهى تقرأ الكلمات غير المفهومة ، التى تراصت على نحو أنيق ، قبل أن تغمغم فى خجل وارتباك :

– لست أدرى .. اطلب أنت ما تشاء .

أعاد (كمال) القائمة إلى (المترودوتيل) ، وهو يملى عليه ما يطلبه للعشاء ، ولم يكد هذا الأخير ينصرف حتى استند (كمال) بمرفقيه إلى المـائدة ، وأسند ذقنه على راحته ، وراح يتطلع إليها فى تمعّن ، وعلى نحو جعلها تخفض عينيها فى حياء ، فسألها فى همس :

– ما الذى يربكك ؟

غمغمت دون أن ترفع عينيها إليه :

– لم يسبق لى مرافقة أحد إلى مثل هذه الأماكن .

ابتسم ، قائلا :

– إنه مجرد مطعم ، وليس ملهى ليليًّا .

ودفع ذقنها بأنامله فى رقة ، ليرفع وجهها إليه ، مستطرداً :

– أتعلمين أن هذا ما يجذبنى إليك ؟ .. البراءة .. تلك الصفة النادرة فى عصرنا .. إنك تمتلكين عينين جميلتين ، وأجمل ما فيهما صفاؤهما وملائكيتهما ، التى تبدو واضحة من النظرة الأولى .

ابتسمت ، مغمغمة فى خجل :

– لقد قالت لى (أمينة) هانم شيئاً مشابهاً من قبل .

كمـال :

– المرء لا يحتاج إلى مجهود كبير ؛ ليدرك ذلك ، ولا ليقع فى غرام عينيك .

عادت الدماء الحارة تتصاعد إلى وجنتيها ، وهى تستمع إليه فى حياء ، وخيّل إليها أنه من الضرورى أن تقـول شيئاً ما ، فغمغمت بعـد لحظة من الصمت ،

وهى تحاول التغلب على خجلها ، ورفع وجهها إليه :

— هل اعتدت أن تتحدث مع الفتيات بهذه الجرأة ؟

ضحك قائلا :

— لست ممن يكتمون مشاعرهم على أية حال ، وحتى لو كنت كذلك لكان وجهك المشرق كافياً لحل عقدة لسانى ، فمن المستحيل أن يلزم الإنسان الصمت ، إزاء هذا الجمال النادر .

عادت تخفض عينيها فى حياء ، وهى تغمغم :

— هل تسخر منى ؟

هتف :

— لماذا ؟ .. ألم يقل لك أحد أنك جميلة من قبل ؟

أجابته فى براءة :

— كلاً .. إنك أول من يفعل .

ابتسم فى خبث ، وهو يقول :

— قبل (رشدى) ؟

حدقت فى وجهه بدهشة ، وأرتج عليها ، فلم

تستطع التفوه بحرف واحد ، وأنقذها حضور النادل ، وصفه الطعام أمامهما ، وبدا وكأن (كمال) لم يكن ينتظر إجابتها ، فقد أقبل على تناول الطعام فى هدوء وبساطة ، وهو يقول :

— هيا .. تناولى الطعام .

بدأت تناول طعامها بالفعل ، ثم توقفت بغتة ؛ لتسأله :

— لماذا ألقيت هذا السؤال ؟

سألها فى هدوء :

— أى سؤال ؟

تلعثمت ، وهى تقول فى حياء :

— سؤالك عن (رشدى) وعنى .. أعنى ..

خيل إليها أن ابتسامته تحمل بعض السخرية ، وهو يقول :

— آه .. كنت أتساءل عما إذا كان (رشدى) قد عبّر عن إعجابه بك .. إنه مجرد سؤال عابر .

قالت فى غضب :

– ينبغى أن تعلم أنه لا يربطنى بالأستاذ (رشدى) سوى صلة العمل ، وهو لم يحاول قط أن يتطرّق إلى أحاديث أخرى ، أو ..

قاطعها ، وقد اتسعت ابتسامته :

– لست أحتاج إلى توضيح ، فأنا أعرف (رشدى) .. إنه لا يعترف بالعواطف والمشاعر ، ولا يفهم أمور العبث أو اللهو ، فعمله هو عشقه الوحيد ، وهو لا يعرف سواه ، ثم إنه يبدو دوماً أشبه بوتر مشدود ، عنيف وحاد المزاج ، تنعكس حدّته وتوتره على كل من حوله ، ثم إنه غبى أيضاً .

قالت فى استنكار :

– كيف يمكنك أن تصفه بالغباء ؟

أجابها فى هدوء :

– أليس من الغباء أن تكون فى مكتبى زهرة جميلة مثلك ، ثم لا أشعر بوجودها ، على الرغم من أن شذاها يملأ قلوب الجميع ؟

نهرته فى لهجة غاضبة :

– أنت مخطئ لو ظننت أنك سترضينى بهذا الأسلوب ، فلا يصحّ أن تَذُم ابن خالتك هكذا .

أطلق ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

– رويدك .. الأمر لا يعدو كونه مزاحاً .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى مرح :

– ولكنك تزدادين جمالا حينما تغضبين ، ثم إنك تخلصين لرئيسك فى العمل ، على الرغم من كل مايكبّدك إياه من متاعب .

أزال أسلوبه الرقيق توترها ، وأعاد إليها هدوءها ، فراحت تقول لنفسها :

– قد يكون هذا الشاب مخادعاً ، يجيد التلاعب بالألفاظ ، إلا أن المرء لا يملك سوى الإعجاب به ، والاستماع إليه طيلة الوقت ، فبالإضافة إلى وسامته ، يمتلك أسلوباً ساحراً ، يستحوذ على مجالسه ، على الرغم من صعوبة التفرقة ما بين جدّه وهزله .

أفاقت من شرودها على صوته وهو يقول فى مرَح :

– فِيمَ تفكرين ؟

هزت رأسها نفياً ، مغمغمة :

- لا شيء .

كمـــال :

- هيا نتناول طعامنا إذن ، قبل أن يبرد .

تناولت أدوات المائدة ، وهى تغمغم فى شرود :

- نعم .. هيَّا .

* * *

استرخت (صفاء) على المقعد المجاور لـ (كمال) داخل سيارته ، وهو ينطلق بها عائداً إلى ڤيلا (رشدى) وغمرتها سعادة داخلية ، أنستها كل الأحزان التى عاشتها بعد وفاة والدها ، وهى تواجه وحدها مرارة اليتم ، وقسوة الفراق ، وأنستها معاناتها فى العمل مع (رشدى) الحاد المزاج الذى يستهين دوماً بمشاعر من حوله ، ويعاملهم معاملة الطغاة ..

كانت السهرة رائعة حقـا ، أضفى (كمال) - على كل شيء فيها - البهجة والمرح ، حتى خيِّل إليها أنها لم تأكل قط طعاماً أشهى ، ولم تمض أمسـية أجمـل ،

وامتلأت نفسها بالنشوة ، حتى أنها لم تشعر بـ (كمال) وهو يوقف سيارته فى بقعة هادئة ، على كورنيش النيل ، كما لم تشعر به ، وهـو يطيل النظر إليها على ضوء القمر ، حتى أفاقت من شرودها على صوته الهامس ، وهو يقول :

- شـــكراً .

اعتدلت فى مجلسها ، وهى تسأله فى دهشة :

- على ماذا ؟

أجابها فى همس :

- على أجمل أمسية قضيتها فى حياتى .

أجابتـه فى هدوء ، ودون أن يحمل صوتها رنة احتجاج :

- لمـاذا أوقفت سيارتك هنا ؟

كمـــال :

- أكره أن تنتهى أمسيتنـــا بسرعـــة ، وقلبى لا يطاوعنى على حرمان نفسى من رقتك وجمالك .

غمغمت فى نشوة :

— أنا أيضاً أكره أن تمضى الأمسية بهذه السرعة .

تهللت أساريره ، وهو يهتف فى فرح :

— أحقـًا يا (صفـاء) ؟ .. أيخامرك الشعور نفسه ؟

كانت لهفته حقيقية صادقة هذه المرة ، لا تحمل أدنى أثر للعبث والسخرية، وكانت عيناه تنطقان بحرارة تكاد تلفح وجهها ، على الرغم من نسيم الليل والنيل ، إلا أنها عجزت تماماً عن إجابة تساؤله ، وعن تحديد موقفها إزاء تلك المشاعر ، التى تملأ نفسها فى هدوء ..

لقد أضفى (كمال) ، على كل ما حولها ، سحراً حقيقيًا ، منذ الوهلة الأولى ، ولكن أيكفى هذا لتعلن أنه الرجل الذى ينشده قلبها ؟ ..

إن أحاسيسها مضطربة ، مشوَّشة ، وقلبها يرفض منحها جواباً حاسماً، فتطلعت إلى الطريق الممتدّ أمامها، وهى تقول :

— (كمال) .. أعدنى إلى البيت من فضلك .

أمسك كفها الصغيرة فى رفق ، وأطلت من عينيه نظرة رجاء ، وهو يقول :

— ولكننى لم أسمع جوابك بعد ولم أقل كل ما لدىّ .

ارتجفت كفها بين أصابعه ، فسحبتها فى رقة ، وهى تقول :

— أرجوك يا (كمال) ، دعنا ننتهى من سهرتنا أصدقاء ، كما بدأناها .

كمـــال :

— ولكنك تعلمين أن أحاسيسى نحوك تتجاوز الصداقة ، كما أنك ..

قاطعته فى حزم :

— أرجوك يا (كمال) .. ليس من اللائق أن اتأخَّر أكثر من ذلك .. أعِدْنى إلى المنزل .

تحوَّل عنها ، وهو يقول فى يأس :

— لا بأس .. ولكننى سألتقى بك غداً .

لاذت بالصمت ، وهى تحاول إخفاء ارتجافتها ، وضربات قلبها المتلاحقة ، وانطلق هو عائداً بها إلى المنزل ..

منزل (رشدى) ..

* * *

٨ – لحظات مرحة ..

كانت الأيام الثلاثة التالية بمثابة حلم جميل لـ (صفاء) ، فلقد فتح أمامها (كمال) آفاقاً جديدة من المرح والسعادة ، وهو يصحبها – فى كل يوم – إلى عدة أماكن مختلفة ، بسيطة ، تنطلق فيها على سجيتها ، كأنها قد عادت إلى طفولتها ، فتجرى وتمرح وسط الحدائق والبساتين ، وإلى أماكن أخرى راقية ، تثير المشاعر ، وتحرّك الأحاسيس .

ولقد سقطت جميع تحفظاتها تجاه (كمال) ، وصارت وكأنها تعرفه منذ سنوات ، فترقب حضوره بفارغ الصبر ، ليصحبها فى نزهة جديدة ، تعيش معه فيها ساعات مرح ، وإقبال على الحياة ، لم تعرفها من قبل ، وأدهشها أنها فى تلك الأيام الثلاثة قد تبدّلت كثيراً ، فلم تعد تشعر بالحرج من نظراته ، ولا همساته المفعمة بالإطراء والغزل ، بل لعلها أصبحت تشتاق إليها ، وتنتظرها ..

وفى كل مرة كانت تبتسم فيها ، وهى تراوغه ، وتفرّ من أسئلته وتلميحاته ، كانت تشعر أنها قد أتقنت فنون الدلال ، التى تملأ غريزة كل أنثى ، إلا أن شيئاً ما فى أعماقها كان يعارض ذلك ، ويؤكد لها أن مراوغتها ليست دلالا ، وإنما هى عجز عن تقديم تفسير صادق لمشاعرها نحو (كمال) . على الرغم من سعادتها للقياه ..

صحيح أنها لم تحب من قبل . إلا أنها لم تشعر بكل هذه البهجة والسعادة ، التى تشعر بها مع (كمال) ، ولكن أهذا هو الحب ؟

أهو مجرّد شعور بالبهجة والسعادة ، أم شعور بالذات مع من نحب ؟ ..

إن (كمال) لم يُعلن لها حبه صراحة حتى الآن ، ولكن كل تصرفاته معها ، ونظراته إليها ، وحتى شعورها الخاص ، كل ذلك يؤكّد أنه يحبها ، ولكن شعورها نحوه ما زال – بالنسبة إليها – غامضاً ، فهو

يعجز حتى الآن عن تحديد ذلك الخط الفاصل ، ما بين الإعجاب .. والحب ..

* * *

لهثت (صفاء) ، وتعالت ضحكاتها المرحة ، وهى تعدو بين أشجار الحديقة ، و (كمال) يحاول اللحاق بها ، وإمساكها ، وهى تراوغه فى مهارة ، حتى ألقت نفسها فوق العشب فى إرهاق ، وهى تضحك فى مرح ، وبدا لها تعبها لذيذاً ، يبعث فى جسدها نشوة وانتعاشاً وحيوية ، لم تعرفها من قبل ، وقالت لـ (كمال) ، الذى جلس إلى جوارها :

— عليك أن تعترف أننى أكثر سرعة منك ، لأنك قد فشلت فى الإمساك بى .

هتف معترضاً :

— لقد ألقيت نفسك أرضاً ، فى اللحظة التى كدت أمسك بك فيها ، وهذا يعنى استسلامك .

ضحكت ، وهى تقول :

— لست ممن يستسلمن فى سهولة .

داعبها ، قائلا :

— لا بأس . سأعترف بسرعتك ورشاقتك ، شريطة أن تعترفى بأن قلبك قد استسلم لى أخيراً .

هتفت فى دلال :

— لن تصل إلى قلبى ، مادمت تعجز عن اللحاق بى .

هبّ واقفاً ، وهو يقول :

— فلنعد الكرّة إذن ، وسأربح هذه المرة ، مادمت قد حددت الجائزة .

ضحكت قائلة :

— كلاً .. لقد أفلتت منك فرصة الفوز ، وعليك أن تتقبل الهزيمة بروح رياضية .

ركع إلى جوارها ، وضم قبضتيه إلى قلبه ، هاتفاً فى لهجة هزلية :

— أرجوك يا أميرتى ، امنحينى فرصة أخرى ، فلقد عقدت كل آمالى على الفوز .

وضعت كفها فوق شفتيها ، لتمنع نفسها من الاستغراق فى الضحك ، وهى تقول :

– (كمال) ! .. ماذا تفعل ؟ .. المارة يتطلعون إلينا .

ظل جاثياً أمامها ، وهو يقول :

– كلاً .. سأظل هكذا ، حتى يعلم الجميع أى ظلم توقعينه على رعاياك ، حينما ترفضين منحهم فرصة أخرى للفوز .

عاد إليها خجلها ، وتضرجت وجنتاها بحمرة الحياء ، وهى تقول :

– انهض ، ودعنا نتصرف على نحو جاد ، فأنا أشعر بحرج بالغ .

أبى أن يتحرك من مكانه ، وهو يقول :

– ليس قبل أن تعترفى بحبك لى ، وبأنك تذوبين عشقاً وهياماً بى .

قالت فى غضب ، وقد تضاعف ارتباكها :

– سأتركك وأرحل .

نهض قائلا فى مرح :

– لا بأس .. سأعلن هزيمتى مؤقتاً ، ولكننى لن أستسلم حتى يعلن قلبك العنيد استسلامه لى .

قالت ، ووجهها مازال يتضرج بحمرة الخجل :

– هيَّا نبتعد عن هنا .

سارا فى صمت إلى قفص يحيط ببعض الغزلان ، التى تمرح فوق العشب . فتطلَّعت إليها (صفاء) فى سعادة . جعلت (كمال) يسألها فى اهتمام :

– هل تحبين الغزلان ؟

أجابته ، وهى تتطلع إلى غزال صغير ، راح يرمقها بعينيه الواسعتين :

– لقد جئت مع أبى ذات مرة إلى هنا ، وكنت بعد طفلة صغيرة ، تغادر (المنصورة) لأول مرة ، ولقد بهرنى المكان – حينذاك – بعالمه وحيواناته ، ولم يستوقفنى سوى غزال صغير كهذا ، رحنا نتبادل معاً نظرات البراءة والألفة والمودة ، وكأننا صديقان قديمان .. انظر كم تبدو عيناه صافيتين وديعتين ، ألا تجبرانك على الوقوع فى حبه ؟

ابتسم ، قائلا :

– ألهذا طلبت الحضور إلى حديقة الحيوان ؟

أشارت إلى الغزال الصغير ، وهى تقول :

– لن يمكنك أن تتصوَّر كم أحب هذا الحيـوان الصغير .

تطلع إلى وجهها فى حنان ، قائلا :

– ما أرقّ قلبك .. لا ريب أن ما يربطك به هو التشـابه الكبير بينكما ، فعيونكما تتشـابه وكلا كما يتمتع بالرقة والبراءة ، وإن كنت تبدين شديدة القسوة فى بعض الأحيان .

هتفت فى دهشة :

– أنـــا ؟ !

أجابها فى تأثر مصطنع :

– نعم .. فحتى الحيوانات تتعامل فيما بينها بالحب.. انظرى كيف يغازل ذلك الغزال أنثاه ، وكيف تتجاوب هى معه فى حنان ، ثم انظرى إلى نفسك ، راجعى قسوتك على من يحبونك .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة ، وهى تغمغم :

– ألن تكفّ عن هذا المزاح أبداً ؟

– ومن قال إننى أمزح ؟. ألست تقسين على قلبى المحب لك بالفعل ؟

– أكاد أصدقك أحياناً .

– ليتك تفعلين هذه المرة . فلم أكن جاداًّ – طيلة عمرى – كما أنا الآن .

تطلعت إليه فى حيرة . وتلاشت ابتسامتها . وشرد بصرها . وخيِّل إليها أنها تلمح طيف (رشدى) ، وشعرت أنها تعقد فى أعماقها مقارنة بينه وبين (كمال) الأول بغلظته وخشونته . والثانى بجاذبيته ، ومرحـه ورقته وحنانه . وبدت لها الهوة ساحقة بين الاثنين ، ولكن العجيب أنها فى تلك اللحظة ، تمنت لو أنها تسمع تلك الكلمات من بين شفتى (رشدى) ، لا من قلب (كمال) ..

وأيقظهـا (كمال) من شرودهـا ، وهـو يقول هامساً :

– ليتنى أكون محور شرودك هذا .

تجاهلت عبارته عمداً ، وهى تشير إلى مجموعة من الشباب والفتيات الأجانب ، الذين تراقصوا على نغمات صادرة من مذياع صغير ، وهى تقول فى مرح :

– إن اللحن رائع ، ورقصاتهم غاية فى الرشاقة .

رمقها بنظرة معاتبة ، وهو يقول :

– لقد كنت محقًا ، حينما وصفتك بالقسوة إذن ، فهأنتذى تتهرّبين من عبارتى !

ضحكت ، وهى تقول مراوغة :

– إننى أُحدثك عن الرقص والأنغام .

– أتحبين مشاركتهم ؟

– ليتنى أستطيع .

– وماذا يمنعك ؟

جذبها من يدها نحوهم ، فهتفت ، وهى تحاول التملص منه :

– إلى أين ؟ .. لقد كنت أمزح .

أجابها فى هدوء :

– أما أنا فلا .

شعرت بالحرج والارتباك ، حينما وجدت نفسها معه وسط حلقة الرقص ، وأدهشتها لغة (كمال) وهو يتحدث إليهم فى طلاقة ، اكتسبها من كثرة العيش خارج (مصر) ، ثم جذبها فجأة أحد الشبان ، وراح يراقصها فى براعة ، فوق البساط الأخضر ، ثم لم تلبث حلقة الرقص أن اتسعت ، وراحت (صفاء) تتنقل من من شاب إلى آخر فى خفة فراشة رقيقة ، ولقد أدهشها هى ، قبل أن يُدْهِش الآخرين ، أنها أجادت الرقص فى رشاقة أثارت إعجاب الجميع ، حتى وجدت نفسها فجأة بين يدى (كمال) ، الذى راح يراقصها ، ويدور بها فى خفة ورشاقة ، حتى تلاشى شعورها بالحرج ، وملأت الموسيقى كيانها كله ، فأنستها الزمان والمكان ، ولم تعد تذكر سوى لحظات مرحها ، وسوى (كمال).. (كمال) وحده ..

* * *

٩ – انى راحلة ..

التفتت (صفاء) إلى (كمال) ، حينما أوقف سيارته أمام منزل (رشدى) ، وسألته :

– ألن تصحبنى لمقابلة (أمينة) هانم ؟

كمـــال :

– كنت أودّ ذلك ، ولكن لدى عمل عاجـل ، يحتاج أن أنجزه فوراً .

هبطت من السيارة ، قائلة :

– وداعاً إذن .

أمسك يدها ، وطبع فوقهـا قبـلة حارة ، وهـو يقول :

– بل قولى إلى اللقاء ، فسأمر لاصطحابك إلى الملاهى مساء الغد .

ابتسمت قائلة :

– إلى اللقـــاء .

انطلق بسيارته ، وهو يلوّح لها ، قائلا :

– قبّلى خالتى بالنيابة عنى ، وقـولى لها إننى سأحضر قريباً لتناول الحاوى التى كانت تعدها لى دوماً .

لوّحت بكفها ، وهى تقول فى مرح :

– سأشاركها إعدادها .

ثم انطلقت تعدو كطفلة صغيرة إلى الڤيلا ، وتقرع جرسها على نحو طفولى ، حتى فتح لها عم (درويش) الباب ، فسألته فى مرح ، وابتسامة مشرقة :

– مساء الخير يا عم (درويش) .. أين (أمينة) هـــانم ؟

أجابها فى هدوء :

– مساء الخير يا آنسة (صفاء) .. إنها تجلس فى الشرفة كالمعتاد .

أسرعت (صفاء) إلى الشرفة ، وهى تقفز فى مرح ، واحتضنت (أمينة) هانم فى حرارة ، وراحت تشبعها بالقبلات ، وقد شعرت فى تلك اللحظة أنها أمها الحقيقية ، وهى تقول فى سعادة :

– مساء الخير يا أمى الحبيبة .

ابتسمت الأم فى طيبة وحنان ، وهى تقول :

– مساء الخير يا (صفاء) .. لقد ازددت إشراقاً وسعادة ، يبدو أنك تقضين وقتاً طيباً مع (كمال) .

أجابتها (صفاء) ، وهى تحتضنها فى سعادة :

– إننى أشعر وكأنما عدت طفلة صغيرة يا أماه ، فلقد ذهبنا إلى حديقة الحيوان ، ورحنا نجرى ونلهو ، ونرقص .

هتفت الأم فى دهشة :

– ترقصان ؟!

أجابتها (صفاء) فى مرح :

– نعم .. لقد التقينا ببعض الشبّان الأجانب ، وشاركناهم رقصاتهم هكذا .

وأمسكت بيد الأم ، ووضعت يدها الأخرى خلف ظهرها ، وراحت تدور بها فى الشرفة ، فهتفت الأم ضاحكة :

– كفى أيتها الصغيرة .. لست شابة مثلك .

ضحكت (صفاء) فى مرح ، وهى تقول :

– من قال ذلك ؟.. إن خطواتك الرشيقة أكثر شباباً منى .

انعكس مرح (صفاء) على الأم وهى تقول ضاحكة :

– يبدو أن ذلك الشيطان (كمال) قد بدّلك كثيراً خلال هذه الأيام القليلة ، فقد حوّلك من فتاة هادئة ، إلى أخرى مفعمة بالمرح والحيوية .

ضحكت (صفاء) قائلة :

– أليس هذا أفضل ؟

ابتسمت الأم قائلة :

– بالتأكيد .. سيعرف منزلنا بعض البهجة على يديك على الأقل .

هتفت (صفاء) فى سعادة :

– سأعمل على ألا تفارقه البهجة أبداً ، وسأحرص على ألا تفارق البسمة شفتيك أبداً يا أماه .

ثم راحت تدور بالأم فى الشرفة ، وتدندن بذلك اللحن المرح الذى راقصت (كمال) على نغماته فى الحديقة .. وفجأة تجمّدت (صفاء) ، ثم تخلّت عن الأم فى

هلع . وتراجعت ووجهها يحمل كل الخوف والاضطراب . على نحو أدهش الأم . فتلفتت خلفها، وفوجئت بـ (رشدى) يقف عند باب الشرفة . ويرمق (صفاء) بعينين ناريتين صارمتين ، والمسكينة ترتجف كعصفور صغير بللته الأمطار فى يوم قارص البرودة ..

وشعرت الأم بالدهشة والجزع . لما أصاب (صفاء) . ولتأثير ابنها عليها . فابتسمت محاولة التخفيف من الموقف . قائلة :

— آه .. نسيت أن أخبرك يا (صفاء) .. لقد عاد (رشدى) من السفر . وسألنى عنك . فأخبرته أنك ..

قاطعها (رشدى) بلهجته الحادة . وقال وعيناه تحاصران (صفاء) فى صرامة :

— أى عبث هذا . الذى يحدث فى منزلنا ؟ .. أين كنت يا آنسة ؟

عجزت (صفاء) عن النطق . وهى تحدّق فيه فى هلع . على حين قالت الأم فى هدوء :

— قلت لك إنها خرجت مع (كمال) . ابن

خالتك ، فى نزهة قصيرة و ....

قاطعها بلهجة جافة :

— أرجوك يا أماه .. إننى أوجه سؤالى إليها .

غمغمت (صفاء) فى صوت مرتجف :

— لقد سألنى الأستاذ (كمال) مرافقته فى نزهته، ولقد وافقت (أمينة) هانم و ..

عقد كفيه خلف ظهره . وهو يقاطعها فى صرامة وانفعال :

— أنسيت أنك تعملين لحسابى أنا . وأنه يلزمك تصريح خاص منى . للتغيب عن المكان كل هذا الوقت ؟ أم أنك قد انتهزت فرصة غيابى . لتمرحى وتعبثى مع ؟..

قاطعته أمه فى غضب :

— الأمر لا يستحق كل هذا يا (رشدى) .

أثارت كلماته غضب (صفاء) أيضاً . وبعثت فى أعماقها رغبة قوية فى تحدّيه ، تغلبت على كل عوامل خوفها منه ، فهتفت فى انفعال :

– أولا : لقد علمت من (أمينة) هانم أنه
يمكننى اعتبار نفسى فى إجازة . خلال أيام سفرك إلى
الخارج . والمرء حرّ فى أن يفعل ما يحلو له . خلال
إجازته . طالما ليس مقيداً بعمل . وثانياً : لست بفتاة
عابثة أو مستهترة . ولن أسمح لأى مخلوق بأن يصفنى
بهذه الصفات المهينة . الجارحة لشرفى وكرامتى .
وثالثاً : لا يحق لك أن تحاسبنى إلا على عملى . فلست
جارية لك . وإنما أنا مجرد موظفة . وعلى أتم استعداد
للاستقالة من الوظيفة . وترك منزلك فوراً . فأنا أفضّل
الحرية و ..

اختنقت الكلمات فى حلقها ، مع عبراتها المنسالة
فى غزارة . فاندفعت تغادر الشرفة . وتصعد إلى
حجرتها باكية . فهتفت الأم فى لوم وعتاب :

– ألن تتخلّى عن تلك الطباع السيئة ؟.. ما الذى
فعلته تلك اليتيمة المسكينة . لتستحق منك كل هذا ؟

أجابها . والغضب ما زال يملأ ملامحه :

– ينبغى أن تعلم أننى لا أمنحها ذلك الراتب الكبير

عبثاً . ولقد أخبرتها منذ البداية أن عملها لدى مزدوج .
فإذا لم أكن بحاجة إليها فى مكتبى . فهى ملتزمة بالبقاء
إلى جوارك . ورعايتك فى المنزل .

صاحت به أمه فى حِدَّة :

– إذن فأنت تريدها كسكرتيرة وخادمة فى آن
واحد ! .. بل كجارية لا تملك من أمرها شيئاً . فحتى
الخادمة تملك حق الترويح عن نفسها بعض الوقت ..
ثم تدَّعى أنك ترعاها . وتساعدها . وفاءً لأبيها
الراحل ؟! .. أية رعاية ومساعدة تلك ؟!

زفر (رشدى) فى ضيق . وهو يقول :

– أرجوك يا أماه .. إننى .

قاطعته فى غضب :

– كلا .. لن أصمت .. أتظن أنك ستخيفنى أنا
الأخرى بتجهُّمك وصوتك المرتفع ؟ .. اسمع
يا (رشدى) .. إننى أعدّ هذه الفتاة بمثابة ابنة لى .
ولن أسمح لك بمعاملتها معاملة الأرقَّاء .

قال فى عصبية :

– ولكنك تسمحين لها فقط بالخروج مع شاب مستهتر مثل (كمال) .. أليس كذلك ؟

أجابته فى صوت قوى :

– قد يكون (كمال) مستهتراً كما تقول ، ولكنه ليس كذلك بالنسبة لـ (صفاء) ، فهــو يحترمهــا ويقدّرها ، وكل ما هنالك أنه يمنحها بعض الوقت ، وبضع ساعات من المرح واللهو البرىء . هى أحوج ما تكون إليه ، بعد أن أثقلت الأحزان كاهلها ، وحملتها مرارة اليتم فوق ما تحتمله سنوات عمرها الشابة ، وهو شىء لم تحاول أنت أن تقدّمه إليها منذ عملت معــك .. بل على العكس .. إنك تزيد أعباءها ، بما يفوق طاقتها ، ولا تلقى منك ، بعد كل هذا ، سوى الغطرسة والتعالى والحديث إليها كما لو كنت قد اشتريتها .

أجابها (رشدى) ، وهو مقطب الجبين فى عصبية :

– أكان المطلوب منى أن أترك عملى ومكتبى ، وأتفرغ لتدليلها ودعوتها إلى النزهات ، حتى أكون قد قمت بواجب رعايتها على أكمل وجه ؟

الأم :

– كلاً ، ولكن لا ينبغى أن تعارض فى قيــام غيرك بتلك المهمة على الأقل .

لوّح بكفه ، قائلا فى عصبية :

– أتقصدين (كمال) ؟ .. إننى لا أثق به .

– إنه لن يقضى وقتاً طــويلا فى (مصر) ، ولا تنسَ أنه ابن خالتك . فلا داعى لأن تعامله بكل هذا الجفاء .

– إننــا لن نلتقى على أية حال . فسأعــود إلى (باريس) غداً .. فى الفجر .

هتفت فى دهشة :

– بهذه السرعة ؟

رشــدى :

– لدىّ بعض ارتباطات العمل هناك . لقد عدت فقط لاستكمال بعض الأوراق والمستندات الهامة .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

– ثم إننى أحتاج إلى وجود سكرتيرتى الخاصة معى .

— هل تعنى .. ؟

— نعم .. سأصطحب (صفاء) معى .

— ولكنى أظنها تجمع حاجياتها الآن . لتترك العمل والمنزل .

تطلع (رشدى) إلى أمه فى دهشة . وهو يهتف فى استنكار :

— ترحل ؟! .. ما هذه التفاهات ؟ .. أتظن أنه يتعين علىّ أن أعتذر وأتوسل . حتى تبقى ؟ .. فلترحل إذن إن شاءت . يمكننى أن أحضر سكرتيرة أخرى . تقوم بالعمل على نحو أفضل منها ألف مرة .

حدجته أمه بنظرة ثاقبة . وهى تقول فى حزم :

— أأنت واثق من أنك ستجد من يحلّ محلها ؟

تقلصت عضلات وجهه فى عصبية . وهو يقول :

— وما المطلوب منى أن أفعله ؟

— أن تعتذر لها . وتسترضيها .

— لم أعتد الاعتذار لأحد .. لقد حاولت أن أقدّم لها بعض المساعدة . إكراماً لأبيها الراحل . وكان عليها

أن تقدّر ذلك . ولكننى لن أتنازل عن طبيعتى ، لاسترضاء فتاة حمقاء .

رسم الحزن خطوطه العميقة على وجه الأم ، وهى تستدير مغادرة الشرفة ، قائلة :

— حسناً يا بنى .. افعل ما يمليه عليك ضميرك .

أخذ ينفث دخان سيجارته فى عصبية . ولمح (صفاء) وهى تهبط فى درجات السلم . حاملة حقيبتها فى طريقها إلى باب الفيلا . ثم لم تلبث أن تركت حقيبتها أمام الباب . واتجهت نحو حجرة الأم . فغابت داخلها بضع لحظات . ثم غادرتها بعينين تملؤهما الدموع ، وعادت تلتقط حقيبتها . وتتجه نحو الباب ..

وفجأة ارتفع صوته الآمر . وهو يقول فى حزم :

— انتظرى .

وتلاشى حزمه لحظة ، وهو يكرّر :

— قلت لك انتظرى ..

ولكنها لم تنتظر ..

* * *

١٠ – نداء فى عينيه ..

لم تستجب (صفاء) هذه المرة ..

لم يوقفها صوته الآمر ، بل واصلت طريقها نحو الباب ، حتى فوجئت به يندفع نحوها ، ويقبض على معصمها فى قوة آلمتها ، وهو يقول فى صرامة :

– إلى أين ؟

لم تلتفت إليه ، وهى تقول فى حِدَّة :

– سأعود إلى (المنصورة) .

أجابها فى صرامة :

– بل ستبقين تحت رعايتى .

تحوَّلت إليه ، وأطلّ التحدِّى من عينيها ، وهى تقول :

– بل سأذهب ، ولن تفرض علىّ إرادتك هذه المرة .. ينبغى أن تعلم أننى لن أسمح لك بمنح نفسك الحق فى مراجعة تصرفاتى وأفعالى ، كما لن أسمح لك بتوجيه الإهانة تلو الأخرى لى ، بحجة رعايتى ، والوفاء لأبى الراحل .

هدأت حِدَّته بعض الشىء ، وهو يقول :

– حسناً .. إننى أعتذر .

لم تصدِّق أذنيها ، فمن كثرة ما عهدته من صلفه وغروره ، وحدة طباعة ، لم تتصور أبداً أنه قادر على الاعتذار ، أو الإحساس بالندم ، وعلى الرغم من ذلك فإن تراجعه لم يدفعها للتخلى عن موقفها ، وهى تتشبث بحقيبتها ، قائلة :

– اترك يدى من فضلك ، فأنت تؤلمنى ، ودعنى أذهب .

تخلى عن يدها ، هاتفاً فى دهشة :

– لقد اعتذرت لك .. ألا يكفيك هذا ؟

أجابته فى حدة :

– ليس هناك ما يدعوك إلى الاعتذار .. إننى أعترف بفضلك علىَّ ، وعلى المرحوم والدى ، وبأنه كان ينبغى أن أكون أكثر تحملا لطباعك وتصرفاتك نحوى ، جزاءً لهذا الفضل ، ولكن كرامتى لم تعد

تحتمل ، لذا فأنا أتقدم إليك بالشكر والاعتذار ، وأرجوك أن تسمح لى بالانصراف .

ران عليهما الصمت لحظات . ثم أشاح بوجهه بعيداً . وعاد يلتفت إليها . وهى تمد يدها إليه لتصافحه ، وخيل إليها أن وجهه يحمل تعبيراً حزيناً ، لم تلمح مثله من قبل . وأنه لم يعد ذلك الفظ الغليظ القلب ، الذى يثير خوفها وكراهيتها . بل لقد رأته فى تلك اللحظة طفلا بائساً ، تحمل عيناه صرخة مكتومة ، ترجوها أن تبقى . فخفق قلبها فى عنف . وهى تغمغم فى صوت مرتجف :

— وداعاً .

تلاحقت ضربات قلبها فى قوة . اختلطت بدهشتها العارمة ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى الهمس والرجاء :

— أبقى يا (صفاء) .

ماذا أصابه ؟ ..

لا ريب أنه شخص آخر ، وليس (رشدى سليمان) الذى تعرفه ..

لقد اعتذر لها منذ لحظات . ثم ها هو ذا يرجوها أن تبقى ..

إنه شخص آخر بالتأكيد ..

وعاد (رشدى) يقول بصوته الهامس ، الذى لم تألفه أذناها بعد :

— ستبقين .. أليس كذلك ؟

غلبها تأثرها . وهى تغمغم :

— أستاذ (رشدى) .. ليس هناك ما يدعوك إلى القلق بشأنى .. إننى سأعرف كيف أتدبر أمورى . ثم إنك لست مديناً لى . أو لوالدى بشىء ، حتى تصر على استبقائى و ..

قاطعها . قائلا :

— ليس للأمر علاقة بدين أوفيه ، أو شعور بالواجب ، ولكننى أحتاج إلى وجودك بالفعل .

شعرت (صفاء) بحيرة بالغة ، وهى تستمع إليه ، وتساءلت : ما حاجته إليها ، ولديه عشرات السكرتيرات ، الأفضل منها خبرة وثقافة وجمالا ،

وأينّ يمكنها أن تكون أكثر نفعاً له منها ؟ ..

أيمكن أن تكون حاجته إليها بعيدة عن مجال العمل ؟ ..

أرجفها مجرَّد التفكير فى هذا الاحتمال ، واستسلمت له ، وهو يتناول حقيبتها ، ويمسك يدها فى رفق ، ليعود بها إلى الداخل ، ولكنها لم تستسلم لإرادته هذه المرة بدافع الخوف أو الرهبة ، وإنما بسبب شعور غامض ، سيطر على مشاعرها فى تلك اللحظة ، وجعلها تشعر أنها أيضاً بحاجة إلى وجوده معها ، وبأنها تشعر بصعوبة بالغة فى مفارقته .

واستقبلت الأم عودتها بابتسامة حانية محبة ، وقد أدركت غريزة أمومتها أن شيئاً ما قد تبدل فى الأمر ..

شىء يجمع ما بين (صفاء) و (رشدى) ..

* * *

وجدت(صفاء) نفسها جالسة إلى جوار (رشدى) داخل الطائرة المتجهة إلى (باريس) ، ولقد أدهشها تبدُّل موقفها على هذا النحو ، بعد أن كانت تصرّ منذ

ساعات على العودة إلى بلدتها (المنصورة) ، فإذا بها ترافق الرجل ، الذى كانت تنوى مفارقته ، إلى (باريس) ، وعلى الرغم من دهشتها وحيرتها ، فقد داخلتها السعادة ، وهى تتصوَّر نفسها فى (باريس) ، مدينة الفن والحب والجمال ، وأنها ستشاهد فيها ما كان يبدو لها فى السابق كالأحلام ، وسرَتْ فى جسدها رعدة منتشية ، وهى تتصوَّر انتقالها إلى العاصمة الفرنسية ..

وأفاقت على صوت (رشدى) ، وهو يسألها فى هدوء :

— هل تريدين تناول أى شىء ؟

غمغمت وهى تلمح المضيفة تقترب :

— كلاً .. شكراً لك .

وطلب لنفسه قدحاً من القهوة ، فمنحته المضيفة الحسناء ابتسامة ساحرة ، وهى تعده بإحضار مطلبه فى سرعة ، وبدون أن تدرى ، وجدت (صفاء) نفسها تتطلع إليه ، محاولة معرفة تأثير تلك الابتسامة الساحرة

عليه . ثم لم تلبث أن شعرت بالخجل . وبالسعادة لأنه لم يستجب لابتسامة المضيفة . ولو على سبيل المجاملة ، ثم فوجئت به يلتفت إليها بغتة . ويسألها :

— لماذا تحدّقين فى وجهى هكذا ؟

تلعثمت وهى تشيح بوجهها عنه . مغمغمة فى حيـاء :

— لا .. لا شىء .

كان قد تخلى عن ذلك الأسلوب الحنون الرقيق ، الذى تحدّث إليها به فى الفيلا . واستردّ من جـديد شخصيته المتجهمة الصارمة . وصوته القوى المميز ، فشعرت بحنين جارف لصوته الهامس . وتمنت لو تراه ينسلخ مرة أخرى عن شخصيته الصارمة ، ولكنه لم ينطق بحرف واحد ، حتى أحضرت له المضيفة قـدح القهوة . فتناوله منها . وهو يسأل (صفاء) فى برود :

— أتتحدّثين الفرنسية ؟

أجابته فى هدوء :

— نعم .. لقـد درست منذ المرحلة التمهيدية فى مدارس فرنسية .

تناول رشفة من قدحه . وقال دون أن يلتفت إليهـا :

— هذا أفضل .. سيعاونك هذا فى مهمتك فى (باريس) .

سألته فى فضول :

— ما طبيعة العمل ، الذى سنقوم به هناك على وجه التحديد ؟

— سألتقى بمجموعة من رجال الأعمال . وأعرض عليهم المستندات الخاصة بأعمال مؤسستنا . فى محاولة لإقناعهم باستيراد منتجاتنا .. إنها مهمة عسيرة . وتحتاج إلى الكثير من الجهد . فهناك عشرات الجهات . التى تنافسنا فى هذا المجال . كما أن لديهم بعض الشروط الواجب توافرها . فى السلع المصدّرة إليهم ؛ لذا أريد منك أن تقومى بتسجيل كل ملاحظاتهم وشروطهم بمنتهى الدقة ، فمن الضرورى أن نكسب ثقتهم أولا .

ـ سأفعل كل ما تطلبه منى .

عاد (رشدى) يراجع أوراقه فى انهماك ، على حين عادت هى تغرق مع أحلامها السابحة فى سماء (باريس) ..

وفجأة اقتحم طيف (كمال) خيالها ..

اقتحمه بمرحه ووسامته . وشعور الألفة والسعادة الذى يمنحه إيَّاها ..

اقتحمه بلباقته . التى كشفت لها مواطن جمالها ، من خلال عينيه الساحرتين ..

لقد نسيت تماماً موعدها معه الليلة . فى غمرة الأحداث التى أحاطت بها ، منذ عودة (رشدى) ، وحتى هذه اللحظة ..

كيف تسنى لها أن تنساه على هذا النحو ؟..

ما الذى سيظنه بها ، حينما يحضر لاصطحابها ، فيجدها قد سافرت مع (رشدى) ، دون أن تترك له ولو خطاب اعتذار رقيق ؟

لا ريب أنه سيحزن لرحيلها ، وسينقم عليها ،

فلقد كان رقيقاً معها ، ولطيفاً إلى أقصى حد ، ولن تغفر لنفسها أبداً أية آلام تسببها له ..

واكتست عيناها بنظرة حزينة ، جعلت (رشدى) يسألها فى قلق :

ـ كنت أظن هذه الرحلة ستسعدك .

حاولت أن تطرد مسحة الحزن من عينيها ، وهى تبتسم ابتسامة باهتة ، قائلة :

ـ ولكننى سعيدة بالفعل .

رمقها بنظرة ثاقبة ، وهو يقول :

ـ كنت كذلك منذ لحظات ، أما الآن فالحزن يطلّ من عينيك فى وضوح . أيحق لى معرفة السبب ؟

أدهشها اهتمامه بها على هذا النحو . وأدهشها أنه لم يتشاغل عنها حقًّا . كما كانت تظن . وإنما كان يراقبها من طرف خفى ، ويتابع ما يرتسم على وجهها من انفعالات . ولقد عاد يسألها فى إصرار :

ـ ما سبب حزنك المفاجئ هذا ؟

لم تشأ أن تخبره ..

لم تشأ ذلك حقًا ..

ولكن لسانها خدعها ، ونطق فى صوت متهدج .

أدهشها قبل أن يدهشه :

— (كمال) .

ولم يعد هناك مجال للتراجع ..

* * *

١١ – الاختيار المر ..

ذلك الانطباع ، الذى ارتسم على وجه (رشدى)، والذى يجمع ما بين الدهشة والاستنكار ، والغضب . جعلها تشعر بالندم ، وهو يهتف :

— (كمـــال) ؟ !

غمغمت فى خفوت :

— كان من المفروض أن ألتقى به الليلة ، ولاشك أن تجاهلى لموعده سيؤلمه و ..

قاطعها (رشدى) فى حِدَّة :

— إننا مقبلون على عمل بالغ الأهمية ، فلا تشغلى ذهنك بتلك العواطف الحمقاء ، ثم إننى أعرف (كمال) أكثر منك ، وهو ليس ذلك الشخص العاطفى ، الذى يؤلمه تجاهل فتاة لموعده ، ولا شك أنه سيدبر موعداً مع أخرى .

أغضبها أسـلوبه مرة أخرى ، ولكنهـا لاذت بالصمت ، حتى لا ينقلب الأمر إلى شجار آخر .

ولكن يبدو أنه قد شعر بغضبها المكبوت ، فرقّ صوته ، وهو يستطرد :

— معذرة ، ولكن ينبغى أن تعلمى أن (كمال) شاب مستهتر ، لا يقيم وزناً للعواطف والمشاعر ، صحيح أنه ابن خالتى ، ولكننى لست أحب أن يخدعك بأحاسيس وهمية .

أجابته فى كبرياء :

— إن علاقتى بـ (كمال) لا تعدو كونها صداقة بريئة ، وهذه هى العاطفة الوحيدة التى تربطنا .

أجابها فى حِدَّة :

— حسناً .. فلننس الأمر كله .. اربطى حزامك ، فسنهبط بعد قليل .

ربطت حزامها ، وأغلقت عينيها فى خوف ، حتى سمعت (رشدى) يقول :

— لقد وصلنا .

رافقته داخل المطار ، وهو ينهى إجراءاتهما فى سرعة ، تشفّ عن اعتياده مثل هذه الأمور ، وهى

تتبعه مستسلمة ، كطفلة تسير خلف أبيها ، حتى غادرا المطار ، فراح يتطلع إلى ساعته فى قلق ، جعلها تسأله :

— ألن نستقل واحدة من سيارات الأجرة ؟

أجابها ، وهو يتطلع إلى الطريق فى قلق :

— كان من المفروض أن تنتظرنا سيارة خاصة هنا ، فهم يعلمون موعد وصولنا بالضبط .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمعا من خلفهما صوتاً يقول فى فرنسية مهذبة :

— مسيو (رشدى) .. مدموازيل .

التفت (رشدى) إلى السائق الفرنسى ، وهو يقول فى فرنسية سليمة :

— لماذا تأخَّرت ؟

انحنى السائق الفرنسى فى أسلوب مهذب ، وهو يقول :

— معذرة يا مسيو (رشدى) .. لقد استغرقت إجراءات الحجز فى الفندق بعض الوقت .

ثم فتح باب سيارته الأنيقة ، يدعوهما للركوب ..

وطوال الطريق ، راحت (صفاء) تتطلع إلى كل شيء فى انبهار ..

الشوارع الفسيحة .. الحدائق الرائعة ..

برج (إيڤل) .. قوس النصر ..

كل ما بهرها فى الصور والأفلام السينمائية بدا أمامها حقيقة لا تستحق الجدل ..

أما (رشدى) ، فقد عاد إلى مراجعة أوراقه ومستنداته ، وكأنما (باريس) كلها لا تعنى له شيئاً .. حتى توقَّفت بهما السيارة أمام فندق فاخر ، وتبين لـ (صفاء) أن كل شيء قد تم إعداده فى دقة بالغة .

فلقد تم حجز حجرتين متجاورتين فى الطابق الرابع ، باسميهما ، ونقل إليهما خدم الفندق حقيبتيهما ، وقال (رشدى) للسائق :

— موعدى مع مسيو (ريمون) فى تمام السابعة .. فاحرص على أن تكون هنا فى السادسة تماماً .

أجابه السائق فى احترام :

— ستجدنى فى الموعد يا مسيو .

وفى حجرتها الفاخرة ، شعرت (صفاء) أنها تحيا حلماً جميلا ، فراحت تتطلع من نافذة حجرتها ، التى تطلّ على ميدان (فرساى) ، أشهر ميادين (فرنسا) ، وأخذت تقفز وترقص داخل الحجرة ، وكأنما عادت إلى طفولتها ..

وفجأة عاد إلى مخيلتها مشهد (رشدى) ، وهو يتطلع إليها فى صرامة ، حينما كانت تفعل المثل فى شرفة الڤيلا ، فتجمدت فى مكانها ، وخامرها شعور قوى بالخجل والارتباك ..

لقد كان لـ (رشدى) تأثير عجيب عليها ، يجعلها تحاسب نفسها فى شدة على أى تصرف ، حتى وهو بعيد عنها ، ويحدّ من انطلاقها وسلاستها ، ويقيّدها بسلاسل من الخوف والرهبة ..

وعلى الرغم من ذلك ، كانت تشعر بحاجة شديدة إليه ، وإلى وجوده إلى جوارها ..

شعور عجيب ، يلازمها منذ لقائهما الأول ، على الرغم من كراهيتها له أحياناً ..

ولكن أى شعور هذا ؟ ..

أى شعور ؟ ..

* * *

خابت أحلام (صفاء) تماماً بالنسبة إلى (باريس) فلقد خضعت طوال اليومين التاليين لوصولها إليها إلى برنامج عمل مزدحم ، لم يمنحها الفرصة لزيارة أى من معالمها ، وهى تتنقّل مع (رشدى) من مكتب إلى مكتب ، ومن عشاء عمل إلى آخر ، وكل لحظاتها مشحونة بالعمل ، تماماً مثل (القاهرة) ..

وذات يوم ، وبينما ضمّتهما مائدة عشاء عمل ، مع أحد رجال الأعمال الفرنسيين ، راح (رشدى) يناقش الرجل فى مميزات منتجاته ، وبدأ الرجل فى تحديد شروطه وطلباته ، الخاصة بنوع البضائع ، وشروط التغليف ، ومواعيد التسليم ، وأخرجت (صفاء) مفكرتها الصغيرة ، وراحت تسجل الملاحظات فى اهتمام ثم لم يلبث الملل أن تسلل إليها ، فشردت ببصرها ، وسرحت فى تأمل اللوحات والتحف الفنية ، التى

يذخر بها المكان ، وفجأة أيقظها صوت (رشدى) ، وهو يهتف فى غضب :

— إننى لم أصطحبك إلى هنا لتأمل اللوحات والتحف.

انتفضت فى قوة ، وغمغمت فى تلعثم وارتباك :

— معذرة .. لقد ..

قاطعها فى حدّة زائدة :

— العمل لايعرف كلمة معذرة .. إنك لاتصلحين لمرافقة رجل أعمال ، كان ينبغى أن أصطحب معى سكرتيرة حقيقية ، بدلا من فتاة حالمة ، لا تدرك المطلوب منها بالضبط .. هيّا .. اكتبى ماسأمليه عليك .

تفجّر فى أعماقها شعور قوى بالحرج والمهانة ، وهى تنقل بصرها إلى نظرة الإشفاق ، التى ملأت عينى رجل الأعمال الفرنسى الذى أدرك حرج موقفها ، على الرغم من أنه لا يفهم كلمة واحدة من العربية ، وعجزت أصابعها عن الاستمرار فى الكتابة ، فألقت القلم والمفكرة فوق المائدة ، وهرولت مغادرة المكان وهى تبكى ..

وزفر (رشدى) فى ضيق ، وهو يغمغم فى غضب :

– عبث أطفال .. فتاة مدللة .. هل تظن أننى سأهرع خلفها فى كل مرة . طالباً الصفح والبقاء .. فلتذهب إلى الجحيم .

لم يكد يعود إلى مقعده ، حتى هبَّ واقفاً . أمام عينى رجل الأعمال المندهشتين ، وهو يهتف :

– أين تظن تلك المجنونة أنها ستذهب وحدها ، فى (باريس) ؟ .

سأله رجل الأعمال الفرنسى فى حيرة عما حدث ، فأجابه فى توتر بالغ :

– معذرة .. إننى مضطر لتأجيل حديثنا إلى الغد .

ثم اندفع مغادراً المكان بدَوْره ..

* * *

استقلَّت (صفاء) واحدة من سيارات الأجرة ، عائدة إلى الفندق ، وتركت دموعها تنسال على وجنتيها فى حرارة . وهى تهتف فى أعماقها :

– سيظلّ (رشدى) كما هو .. إنسان حاد المزاج يصعب التعامل معه ..

لقد كانت تأمل أن يكون قد أصابه بعض التغيير ، الذى يصبح بمثابة قناة توصلها به . بعد حديثه الهامس ، وأسلوبه الرقيق معها . وهو يدعوها للبقاء .. لقد أحسَّت يومها أنها مخطئة من خوفها منه . وفى رأيها من أنه رجل بلا قلب أو مشاعر ، إلا أنه لم يلبث أن أعاد حواجز القسوة والخشونة والتجريح بينهما ..

إنها لم تعد تحتمل ..

ستفارقه إلى الأبد هذه المرة ..

لن تتراجع عن قرارها أبداً ..

لن تسمح لإرادتها بخذلانها مرة أخرى ، على الرغم من أنها واثقة هذه المرة من أن قلبها قد اختاره وحده ، على الرغم من كل عيوبه ومساوئه ..

وستفرّ بقلبها بعيداً عن ذلك الاختيار ، الذى لن يجلب لها سوى الآلام والجراح ..

ستهرب من الاختيار المر ..

* * *

١٢ – بين عقلى وقلبى ..

تعالى رنين جرس هاتف حجرة (صفاء) ، وهى تعد حقيبتها ، تمهيداً للعودة إلى (مصر) ، فالتقطت سماعته ، وسمعت صوت موظف الاستقبال يقول :

– مدموازيل (صفاء) .. هناك محادثة هاتفية لك .

أجابته فى حزن :

– لست أرغب فى التحدث إلى أحد .

ولكنها سمعت فجأة صوتاً مألوفاً ، يهتف فى مرح :

– كلاً .. لن أسمح لك بالفرار مرة أخرى .

هتفت فى مزيج من الدهشة والفرح :

– (كمال) ؟! .. غير معقول ! .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

أجابها بأسلوبه المرح :

– قلبى .. صدقينى .. لقد حاولت أن أثنيه عن ذلك ، بحجة أنك فتاة قاسية ، لا قلب لها ، ولكنه نهرنى فى شدة ، قائلا : وما شأنك أنت ؟ أنا الذى

أريدها ، ثم أجبرنى على أن أستقل معه أول طائرة إلى (باريس) ، وطاف بى كل فنادقها ، حتى عثر عليك هنـــا .

ضحكت قائلة :

– يا لها من مفاجأة سعيدة !

أجابها فى مرح :

– معذرة .. إن قلبى لن يتحدث إليك طويلا ، عبر أسلاك الهـاتف ، إنه يصرّ على مقابلتك فى (كافيتيريا) الفندق .. وبالمناسبة .. سأحضر هـــذا اللقـــاء .

هتفت فى سعادة :

– إننى قادمة على الفور .

* * *

صافحته (صفاء) فى حرارة ، ورأت فى عينيـه نظرة اشتياق حقيقية ، وهو يهمس فى لهفة :

– لقد أوحشتنى حقّـاً يا (صفاء) .

ابتسمت ، قائلة :

– إنها ثلاثة أيام فحسب . ومن الجنون حقاً أن تأتى خلفى إلى (باريس) .

كمال :

– حقاً ! ! لقد بدت لى كثلاث سنوات .

شعرت بالتأثر من كلماته . التى انتزعت منها الكثير من أحزانها وتوترها . فقالت :

– لقد كنت أحتاج إلى رؤيتك . وسماع كلماتك الرقيقة هذه بالفعل .

ارتسم على وجهه تعبير حاد ، وهو يمسك كفها ، قائلا :

– اسمعى يا (صفاء) .. سأكون صريحاً معك .. لقد جعلتنى تلك الأيام الثلاثة . التى افترقنا فيها ، أدرك طبيعة شعورى نحوك بالضبط ،وبدّلت الكثير من طبائعى فلم تعد هناك فتاة تلح على ذهنى . وتشغل تفكيرى سواك ، وليس لهذا سوى معنى واحد ..

وتهدّج صوته ، وهو يردف :

– إننى أحبك يا (صفاء) .

حاولت أن تمنعه من الاسترسال فى حديثه ، مغمغمة فى ارتباك :

– (كمال) .. إنك .

قاطعها فى حرارة :

– دعينى أتم حديثى يا (صفاء) .. أرجوك .. إننى أعترف بأننى قد عشت حياة لاهية . مستهترة ، تساوت خلالها كل الفتيات ، اللاتى عرفتهن ، فى نظرى . ولكن ظهورك فى حياتى كان يختلف . ففيك وجدت كل البراءة والنقاء والطهارة . التى لم تزيفها شرور العصر بعد .. أقول لك إننى أحبك ، وأقسم لك أننى لم أفه بهذه الكلمة أبداً من قبل . ولو على سبيل الخداع ، فلقد احترمت دوماً قدسيتها ، وادخرتها للفتاة التى يختارها قلبى وعقلى معاً ، ولقد سعيت خلفك لأطالبك بأمر واحد .. هل تقبلين الزواج منى يا (صفاء) ! ؟

اختلج قلبها فى عنف ، وارتجفت الكلمات على شفتيها ، وهى تغمغم :

– لست أدرى ماذا أقول .. لقد فاجأتنى حقًا .

هتف فى حرارة :

– أرجوك يا (صفاء) .. لا داعى لكل العبارات التقليدية الحمقاء .. لا تطلبي منى منحك بعض الوقت للتفكير ، فلست أتميز بالصبر ، ولا أطيق الانتظار .. أريد ردًا قاطعاً ، وليكن بالإيجاب .. أرجوك .

غمغمت فى ارتباك :

– فلنؤجل الرد حتى نعود إلى (القاهرة) على الأقل .

هتف فى لهفة :

– بل الآن ، وإذا وافقت فسنعقد قراننا هنا .. فى (باريس) .

هتفت فى دهشة :

– هنا ؟!

أجابها فى حماس :

– نعم .. يمكننا أن نعقد قراننا فى السفارة المصرية فلقد جاءنى خطاب عاجل من الشركة الرئيسية فى

(بلجيكا) ، ويتحتم علىّ أن أعود إلى هناك بعد غد ، وقد لا أعود إلى (مصر) قبل عام كامل على الأقل ؛ لذا فمن الضرورى أن ينتهى كل شيء فى سرعة .

عصفت بها الأفكار ، وهى تتطلع إليه فى حيرة ..

إنه لمن الرائع حقًا أن يختارها للزواج شابٌ رائع مثل (كمال) ، يتمتع بالجاذبية والوسامة ، وكل ماتتمناه أية فتاة ، إلى جوار أنها تكن له بعض الحب والإعجاب فهو ودود ، رقيق ، يحبها فى إخلاص .. وما الذى ترجوه أية فتاة بخلاف ذلك ؟ ..

ولكن موجة من الحزن سرَتْ فى أعماقها ، وهى تهمس فى داخلها :

– ولكننى أحب (رشدى) .. قدرى أن أحبته.

كم أنت غريب يا قلبي ! .. كيف تلفظ (كمال) بكل صفاته المحبَّبة ، ومميزاته المتعددة ، وتحتضن (رشدى) بكل غلظته وخشونته ، ومشاعره الجامدة القاسية ؟ ..

ولكن متى كان الحب يخضع لعقل أو منطق ؟ .. كلاً .. لقد قررت ألا أخضع لنداء قلبي ، وأن

أستجيب لنداء عقلى فحسب ، وعقلى اختار (كمال) ، وسعادتى ستكون معه ، وليست مع (رشدى) .

قطع عليها (كمال) استغراقها ، وهو يقول :

– أمازلتِ تفكرين فى الأمر ؟ .. لست أطمع فى أن يحمل لى قلبك كل ما يحمله لك قلبى من حب ، فسيكفينى القليل منه ، وسأعمل جاهداً على نيل الباقى .

غمغمت فى تردد :

– (كمال) .. إنك تعلم أننى فتاة فقيرة ، كان والدى يعمل طباخاً فى منزل خالتك . والفارق الاجتماعى بيننا كبير و ..

وضع يده على شفتيها ؛ ليمنعها من الاستطراد ، وهو يقول :

– إنك لم تأتى بجديد .. إننى أعلم كل هذا ، وأعلم أنه لا قيمة له ، ما لم يكن مبرراً لرفضك .. الأمر لا يحتاج إلى مزيد من التفكير يا (صفاء) .. أتقبلين الزواج منى أم لا ؟

ارتسمت على شفتيها ابتسامة شاحبة ، وهى تقول :

– حسناً .. إنك لا تدع لى مجالا للرفض .

تهللت أساريره ، وهو يهتف فى سعادة :

– إذن فأنت تقبلين ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، فهبَّ من مقعده ، وهو يهتف فى فرح ، استرعى انتباه الجالسين :

– إنه أسعد خبر سمعته فى حياتى .. إننى لا أطيق الانتظار .

اتسعت ابتسامتها ، وهى تقول :

– هل ستعاودك نوبة الجنون ؟ .. الجميع يتطلعون إلينا .

عاد يجلس ، وهو يقول فى لهفة وانفعال :

– سأتغيَّب نصف ساعة فحسب .. هناك بعض الإجراءات ، التى يتعين اتخاذها ، حتى يمكننا عقد قراننا غداً .

ضحكت ، وهى تقول :

– بهذه السرعة .

هتف فى مرح :

ـ هذا أفضل .. قبل أن تتراجعى فى قرارك .. سأتغيب نصف ساعة فقط .. لا تغادرى مكانك حتى أعـود .

غادر المكان فى سرعة ، وكل خلجة من خلجاتـه تشى بحبه وسعادته ، وتابعته هى فى وجوم ، وهى تتساءل عن سر افتقادها للسعادة ، شأن أية فتاة مقبلة على الزواج ، وراحت تتطلع إلى الطريق فى شرود ، وقد خيم عليها شعور بالاكتئاب ، حجب عنها جمال (باريس) ، وجعلها تبدو فى عينيها مظلمة شاحبـة ، خاوية من البهجة والجمال ..

وفجأة وجدت (رشدى) أمامها ، يتطلع إليها فى صمت ، عاجزاً عن النطق بما تحمله عيناه ، من نظرات الاعتذار والندم ..

وأخيراً قال فى صوت خافت :

ـ لقد سألت عنك ، وأخبرونى أنك هنا .. هل تسمحين لى بالجلوس ؟

أشاحت بوجهها دون أن تجيب ، وقلبها يخفق فى

عنف ، فجلس على مقعد مجاور لها ، وظل صامتاً متردداً بعض الوقت ، وهو يتطلع إلى الطريق ، وكأنما يخشى أن تلتقى عيناه بعينيها ..

وكان هذا عجيباً ، بالنسبة لرجل اعتاد أن يرهب الآخرين ، وأن يراهم يرتعدون أمامه ، إذ بدا فى تلك أشبه بطفل صغير ، يخشى العقاب ، ولقد مضت فترة طويلة من الصمت ، قبل أن يغمغم :

ـ من الواضح أننى لن أجد عبارات مناسبة للاعتذار ، وأنك لن تقبلى اعتذارى هذه المرة ، ولست ألومك على ذلك ، فأنا رجل سيئ الطباع ، سريـع الانفعال ، لا أثير فيمن حولى سوى النفور والكراهية. أعلم ذلك جيداً ، ولكن صدقينى ، منذ ستة عشر عاماً فقط لم أكن كذلك .. كنت شخصاً مختلفاً تماماً .. كنت شاباً حالماً ، هادئ الطباع ، ورث عن أبيه الطيبة وحسن الخلق ، والثقة المفرطة فى الناس ، وحبهم ، يمتلئ بمشاعر رقيقة بريئة ، ولقد كنت أنا وأبى نختلف مع أمى كثيراً ، فنترك مشاعرنا الطيبة تقودنا ،

دون أن نمحص الأمور بعقولنا ، ولقد جعلت هذه الطيبة المفرطة الجميع يطمعون فى ثروة أبى ، الذى كانت له أفضال كثيرة على أقاربه .. الجميع أفادوا منه ، وأصبح لهم شأن بواسطة معاوناته لهم ، ومنهم من كان فقيراً معدماً .. الكل استغلّ طيبته ، ونبل مشاعره ؛ لتحقيق مآربهم ومطامعهم الخاصة ، وحينما سقط مريضاً ، التفوا حوله كالذئاب الجائعة ، كل يريد أن يلتهم الجزء الأكبر من لحمه ، ويتصارع ليرثه حيًّا ، حتى إخوته .. أعمامى وعماتى ، كانوا يسرقونه .. لقد نهبوا الكثير من حقوقنا ، دون أن تأخذهم بنا شفقة أو رحمة ..

وأبوكِ كان أكثر إخلاصاً ووفاءً لنا ، ممن تربطنا بهم صلة الدم ، وفى تلك الأيام تفتحت أمامى من حقائق الحياة ما لم أكن أعرفه من قبل .. رأيت الطمع والجحود والاستغلال .. لم يأبه أحدهم بالرجل المريض الذى لولاه ما صار لهم شأن ، وأصبح كل همهم النهب والسلب ، بعد أن أسلمهم أبى إدارة ثروته ، فى طيبة

تصل إلى حد السذاجة ، ولولا تصدِّى أمى لهم ، فى أيام أبى الأخيرة ، لصرنا فقراء معدمين ، وما حصلنا حتى على بقايا ثروة أبى ، بعد أن التهمت معظمها الذئاب المتوحشة ..

وهذه البقايا قاتلت أنا لتنميتها ، بجهدى وعرق ودموعى ، حتى أوصلتها إلى ما ترينه الآن ..

حتى ابنة عمى ، الوحيدة التى تفتّح لها قلبى ، والتى ظننت أنها تبادلنى الحب المخلص الحقيقى ، كشفت بعد خمسة أيام فقط من خطبتى لها ، أن ارتباطها بى كان جزءًا من المؤامرة ، التى دبرها عمى ؛ للاستيلاء على القدر الباقى من ثروة أبى ..

حتى الحب ، بكل معانيه السامية ، حولوه فى أعماقى إلى مرادف للغش والخداع ..

وبعد رحيل والدى عن الدنيا ، كنت قد تلقيت الدرس ، ووعيته جيداً ، وقرَّرت ألا أصبح مثله أبداً ، بل تعلمت كيف أجعل الجميع يخشوننى ويكرهوننى فى آن واحد .. تعلمت القسوة ، ودرَّبت نفسى على

خشونة الطباع ، والاستخفاف بالمشاعر ، وتحوّلت إلى رجل قاس ، غليظ القلب ، عديم العاطفة ؛ حتى لا أكرر مأساة أبى . أو هزيمتى فى حبى ..

لفظت كلمة الحب من حياتى ، واعتبرته ضعفاً ، لا أسمح بالاستسلام له أبداً ..

ويبدو أنه من كثرة ممارستى لذلك الدور ، ومعايشتى له ، صرت بالفعل قاسياً . غليظ القلب ، عديم العاطفة ، حتى ظهرت أنت فى حياتى ..

إحساس عجيب خامرنى منذ اللحظة الأولى ، التى رأيتك فيها ..

إحساس قاومته دوماً فى عنف . ولكنه ظل يتغلغل فى أعماق . على الرغم منى ..

إحساس يذكرنى بذلك الشاب اليافع ، ذى العواطف الجيّاشة . والقلب العامر بالحب والمثاليات..

ذلك الشاب الذى فقدته بوفاة أبى ..

التقت عيناه بعينيها فى تلك اللحظة ، وللمرة الثانية ،

رأت فى عينيه تلك النظرة الحزينة ، المفعمة بالرجاء . وهو يقول :

— (صفاء) .. لقد سئمت ذلك الدور الكريه . الذى ظللت أؤديه على مسرح الحياة ، طيلة ستة عشر عاماً .. أريد أن أستعيد (رشدى) الذى فقدته ، بطيبته ونقاء سريرته ، وقلبه المتفتح للحب ، والعواطف الجيّاشة .. أعلم أن ذلك لن يكون سهلا ، ولن يحدث فى يوم وليلة ، فليس من السهل أن يغير الإنسان طباعاً عايشها كل هذا الوقت ، ولكننى أشعر أننى سأنجح لو كنت إلى جوارى ، فلقد كرهت شخصية الرجل العنيف منذ التقيت بك ، ولم أرغب فى استرداد طبيعتى الأولى إلا بعد أن أحببتك .

حدّقت فى وجهه بذهول ، فاستطرد فى لهجة حانية ، بدت لآذانها عجيبة :

— نعم يا (صفاء) .. إننى أحبك .. لم يتضح لى هذا الشعور فى البداية ، إلى أن اعترف قلبى بأن مشاعرى نحوك هى حب حقيقى ، وأن ذلك الإحساس ،

الذى كنت أقاومه منذ التقينا . لم يكن سوى الحب ، لقد اعترف قلبى : الذى وأدته منذ ستة عشر عاماً بذلك . حينما خفق مرة أخرى بحبك . وأعاد (رشدى) الأول إلى أعماق . وبعثه من جديد مفعماً بالقوة ، مستعداً للنضال والقتال . ضد (رشدى) الحالى . بكل قوته ومساوئه وشروره .. من أجلك .

لم تنطق (صفاء) . وهى تحدّق فى وجهه . ولكن عينيها نطقتا ..

نطقتا بالدموع ..

* * *



١٣ ـ معك دائما ..

كان من المفروض أن يرقص قلب (صفاء) طرباً وهى تستمع إلى الرجل الذى أحبته ، يبثها حبه وهيامه، ولكن سعادتها جاءت مبتورة ، يشوبها مزيج من الحزن والأسى . حينما جاء ذلك الاعتراف متأخراً ..

يا لأعاجيب القدر !!

لماذا لم يعترف لها بحبه إلا الآن ؟

لماذا اختار هذا الوقت بالذات . بعد أن وافقت على الزواج من (كمال) ؟

لماذا ؟

أيمكنها الآن أن تتراجع عن موافقتها على الزواج من (كمال) . الذى أحبها بكل صدق وإخلاص ، وكاد يطير فرحاً . حينما أعلنته له ؟ ..

كلاً .. لا يمكنها أن تتراجع الآن ..

لن تقوى على تحطيم قلب (كمال) بهذه البساطة .. ثم هل يمكن أن يتغير (رشدى) حقّـا ؟ ..

ألن تغلبه طبيعته مرة أخرى ، فيعود إلى إهانتها وتجريحها ؟

كم تشفق على نفسها ، وعلى قلبها من أن يأتى ذلك اليوم ، فيطحن حبهما ، ويقتله ، بعد أن ظهر إلى الوجود !..

ربما كان من الأفضل لكليهما أن يتباعدا ، ويحتفظ كل منهما بذكرى هذا الحب ، الذى نما وسط الأشواك ، قبل أن تدميه ، فالهجر أهون من أن نتعذب على أيدى من نحبهم ..

كلا .. إن اعتراف (رشدى) لن يغير قرارها ..

إنها ستختار الأصعب ، والأكبر رحمة لقلبها ..

وفاجأها (رشدى) ، وهو يقول فى حنان ، لم تعهده فيه من قبل :

— أتبكين يا (صفاء) ؟ .. ألا تعرفين كم تؤلمنى دموعك ! وكم آلمتنى حينما رأيتها فى عينيك لأول مرة !. أتعلمين لماذا ثرت ، حينما علمت أنك كنت برفقة (كمال) ؟ .. إنها الغيرة يا (صفاء) .. نفس الغيرة

التى أصابتنى فى الطائرة ، حينما تحدثت عن حزنك لتخلفك عن موعده ، والتى تضاعفت فى أعماق . وانفجرت منذ قليل ، حينما كنا مع رجل الأعمال الفرنسى ، لقد تصوَّرت أن شرودك يعود إلى تفكيرك فيه ، ولم تقو مشاعرى على احتمال هذا الإحساس ، ولكنك تعلمين أن الغيرة هى الوجه الآخر للحب ، وحينما انصرفت غاضبة ، تركت كل شىء ، وهرعت خلفك . فقد كان بإمكانى تحمل أية خسائر . ما عدا أن أخسرك أنت ، لا يمكننى مجرَّد تصوُّر فكرة ضياعك منى .

بكت فى حرارة ، وهى تقول فى توسل :

— أرجوك .. كفى .. كفى .

تناول كفَّها فى راحته برقة ، قائلا :

— هل آلمتك ؟ .. اغفرى لى يا حبيبتى .. لن يحدث هذا مرة أخرى ، سأبذل كل ما بوسعى لأنسيك هذا ، وسأفعل المستحيل لإثبات حبى لك .

وفجأة هتف صوت مرح من خلفه :

– (رشدى) .. لقد عثرت عليك أخيراً .

تطلّع إليه (رشدى) ، وهو يهتف فى دهشة :

– (كمـال) ؟!

أجابه (كمـال) فى مرح :

– نعم .. (كمال) ابن خالتك أيها الجاحد . الذى لا تذكره ولو بخطاب صغير . أكان من الضرورى أن أهرع خلفك إلى (باريس) . حتى نلتقى ؟

سأله (رشدى) فى دهشة :

– كيف علمت أننا هنا ؟

التفت (كمال) إلى (صفاء) . وهو يقول مداعباً :

– أرأيت ؟ .. ألم أقل لك إنه لا يعرف شيئاً عن المجاملات .. كل ما عنّ له قوله : كيف علمت أننا هنا ؟ .. على كلّ لن نعاتبه اليوم ، حتى لا نفسد بهجتنا .. هل أخبرتك (صفاء) بالخبر السعيد ؟

غمغم (رشدى) فى توتر :

– أى خبر ؟

هتف (كمال) فى دهشة :

– كيف لم تخبره حتى الآن يا (صفاء) ؟

ثم التفت إليه . مستطرداً فى سعادة جمة :

– أنا و (صفاء) سنعقد قراننا غداً .. هنا فى (باريس) . وسيكون عليك أن تبحث لنفسك عن سكرتيرة أخرى .

زلزلت الصدمة كيان (رشدى) . فراح ينقل بصره بينهما فى ذهول ومرارة وألم . وخبا بريق عينيه فى انكسار عاشق مهزوم . ولم تستطع (صفاء) التطلع إلى عينيه الحزينتين ، وشعرت أنها تكره نفسها ، لأنها تسببت فى تحطيم قلبه على هذا النحو ، على حين هتف (كمال) فى دهشة :

– ماذا أصـابك يا رجـل ؟ .. ألا يستحـق ما أخبرتك به كلمة تهنئة على الأقل ؟

خرجت الحروف من بين شفتى (رشـدى) . مختنقة ، متحشرجة ، وهو يغمغم فى مرارة :

– مبروك .

هتف (كمال) فى مرح :

— لقد نطق .. وقال لنا مبروك .. يا إلهى !! .. لقد تحققت المعجزة .

أشاح (رشدى) بوجهه ، وهو يقول فى ألم :

— اسمحا لى بالانصراف .

تضاعفت دهشة (كمال) ، وهو يهتف :

— إلى أين ؟ .. ألن تدعونا حتى إلى مشروب ، بهذه المناسبة السعيدة ؟

غمغم (رشدى) فى ألم ومرارة :

— معذرة .. لقد بذلت جهداً كبيراً اليوم ، وأحتاج إلى بعض الراحة .

وانصرف فى خطوات سريعة ، فغمغم (كمال) فى حيرة :

— ماذا أصابه ؟ .. إنه يبدو غير طبيعى على الإطلاق !

أجابته (صفاء) فى صوت مختنق :

— ربما كان متعباً حقًّا ، كما يقول .. دعنا نخرج

من هنا ، فأنا فى أمسّ الحاجة إلى بعض الهواء النقى .. هيَّا ..

* * *

أوقف (رشدى) سيارته أمام القنصلية المصرية فى (باريس) ، وهبط منها مع (كمال) و (صفاء) ، وبدا أكثر تماسكاً ، وهو يقول :

— أكرر تهنئاتى ، وأتمنى لكما حياة سعيدة .

سأله (كمال) فى اهتمام :

— أأنت واثق من عدم استطاعتك حضور عقد القران ، لقد كنت أتعشم أن تكون أحد شهود العقد .

رسم (رشدى) ابتسامة باهتة على شفتيه ، وهو يغمغم :

— كنت أودّ ذلك أيضاً ، ولكن لابد لى من السفر إلى (القاهرة) ، ولم يعد أمامى سوى نصف ساعة للحاق بالطائرة .

هتف (كمال) فى استنكار :

— ألا يمكنك أن تؤجل سفرك ؟

غمغم (رشدى) :

— كلاً .. للأسف .

ثم التفت إلى (صفاء) . وهو يستطرد :

— اعتن بـ (صفاء) جيداً . وتذكر دوماً أنها ليست مجرد سكرتيرة . بل إن مكانتها فى قلوبنا تفوق ذلك كثيراً .

ضحك (كمال) . وهو يقول :

— إنك لن توصينى بـ (صفاء) .

أخرج (رشدى) من جيبه علبة مخملية صغيرة . فتحها وهو يقدمها إلى (صفاء) ، قائلا :

— إنه سوار ماسى ، هدية زواج .. أرجو لك حياة سعيدة .

وخفت صوته . وهو يستطرد :

— أقولها من أعماق قلبى .

كان وجه (صفاء) شاحباً كالموتى . وهى تتطلع الى عينى (رشدى) ، اللتين تحملان نفس نظرات

الطفل البائس . وخيل إليها أن شفتيه المرتجفتين تصرخان بها :

— لا تتركينى للضياع .

كم تمنت لحظتها أن تخمد صوت عقلها . وتترك العنان لقلبها وعواطفها ! ..

كم تمنت أن تتخلى عن ماضيها . وحاضرها . ومستقبلها .. بل عن العالم بأسره ؛ لتلقى نفسها بين ذراعيه ، وتعترف له بحبها ، وبأنها تتمنى أن تحيا عمرها كله إلى جواره ..

وقطع (كمال) خواطرها الحزينة . وهو يقول :

— هيا .. لقد حضر الشاهدان، وكل شىء معد .

صافحها (رشدى) بأصابع مرتجفة . وهو يقول فى صوت بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة :

— وداعاً .. أرجو لكما كل التوفيق فى حياتكما .

كمـــال :

— سأحاول الحصول على إجازة لمدة أسبوع . نحضر خلالها أنا و (صفاء) إلى (القاهرة) ؛ لزيارة

خالتى ، وأرجو أن توضح لها الظروف ، التى حتمت إنهاء الزواج بهذه السرعة .

تابعهما (رشدى) ببصره فى حزن وهما يتجهان نحو مبنى القنصلية ، ثم دلف إلى السيارة ، وأمر سائقها بالتوجُّه إلى المطار على الفور ..

وتعثّرت خطوات (صفاء) ، وهى ترتقى سلم القنصلية ، فأسرع (كمال) يمسك بها ، وهاله ذلك الحزن المرتسم على وجهها ، فهتف فى حيرة وقلق :

- ماذا بك يا (صفاء) ؟

غمغمت ، وهى تمسح دمعة تسللت إلى وجنتها :

- لا شىء .

استوقفها ، وهو يقول :

- بل هناك أشياء يا (صفاء) ، فذلك الحزن لا يتفق مع فتاة مقبلة على الزواج .. أخبرينى بربك ، ماذا هناك ؟

ارتجف صوتها ، واختنقت حروف كلماتها ، وبكت فى حرارة ، وهى تتمتم :

- (كمال) .. أخشى أنه لن يمكننى إسعادك .

هتف فى جزع :

- لمـاذا ؟

انهمرت دموعها فى غزارة ، وهى تقول :

- لأننى أحب رجلا آخر .

تجمَّدت ملامحه لحظة ، وهو يطيل النظر إليها ، ثم لم يلبث أن هتف فى غضب ومرارة :

- ولماذا لم تخبرينى بهذا من قبل ؟ .. لماذا وافقت على الزواج منى ، ما دام قلبك يحمل الحب لرجل آخر ؟ .. لماذا رفعتنى إلى قمة السعادة ، ثم ألقيتنى بكل هذه القسوة أرضاً ؟ .. لماذا ؟

انهمرت دموعها ، وهى تقول :

- لست أدرى .. لست أدرى .. لقد كنت مضطربة المشاعر ، حينما وافقت على الزواج منك .. تصوَّرت أننى أستطيع إخماد نداء قلبى ، والاستسلام لعقلى ، الذى يرفض هذا الآخر ، وخلت أننى سأنسى معك هذا الحب الذى خشيت أن يجذبنى إلى الهاوية ،

ولكننى شعرت الآن ، وأنا أقدم على إتمام زواجنــا .
أنه ليس من حقى أن أخدعك ، وأخدع نفسى .
وأخدع من أحب ..

اختنقت الكلمات فى حلقها ، وهى تبكى فى حرارة وتسمَّر هو فى مكانه جامداً . ووجهه يحمل انفعالات شتى . قبل أن يغمغم :

— إنه (رشدى) .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجاباً . دون أن تفوه بحرف واحد فابتسم فى مرارة ، قائلا :

— يا لى من غبى ! .. كيف لم أفهم ذلك ؟ .. ذلك التعبير الحزين فى عينيه ، والمرارة فى ملامحه وصوته .. كيف لم أفهم ذلك ؟

غمغمت فى ألم :

— لقد اعترف لى بحبه قبل قدومك بلحظات . ولم يكن يعلم أننى قد وافقت على الزواج منك .

جذبها (كمال) من يدها فجأة ، وهو يقــول فى حزم :

— هيَّا بنا .

هتفت به فى دهشة وقلق :

— إلى أين ؟

أجابها فى حزم :

— سنصحِّح ذلك الخطأ . الذى ارتكبناه جميعاً ، وأرجو أن يكون أمامنا متسع من الوقت لذلك .

* * *

شردت عينا (رشــدى) ، وهو يجلس داخل الطائرة . وخامره شعور ثقيل بالوحدة والاكتئاب ، بعد أن صارت (صفاء) ملكاً لرجل آخر . ولم يعــد باستطاعته رؤيتها بعد الآن . فى مكتبه أو منزله . وراح يغمغم فى مرارة :

— ماذا أصابك يا (رشدى) ؟ .. أأنت حزين لأنها ستتزوَّج غيرك ؟ .. لقد كانت أمامك طيلة الوقت وكنت تعلم أنك تحبها . ولكنك لم تفعل شيئاً ، باستثناء استعراض جبروتك وقوتك . وحثها على النفور منك وكراهيتك .. ثم تشعر الآن بالندم .. هكذا الحمق

دوماً .. لايعرفون قيمة ما يملكونه ، إلا حينما يفقدونه . إنك تستحق كل الشقاء والوحدة .. تستحق المرارة والتعاسة ، بين كل ما جاهدت لتصنعه .. تمتع بمؤسستك ، وفيلتك الفاخرة ، ولكن حذار ، فكل هذه الأشياء ستبدو لك اليوم بغيضة خانقة ؛ لأنها لن تشاركك إياها .. إنك لا تستحق (صفاء) .. لا تستحقها أبداً .

قاوم دمعتين ترقرقت بهما عيناه ، وجاهدتا للانحدار على وجنتيه ، وارتجف جسده حينما سمع صوتاً يهمس إلى جواره :

— أيمكننى الجلوس هنا ؟

انتشله الصوت من حزنه وآلامه ، وبعث فى قلبه الحياة مرة أخرى ، وهو يهتف :

— (صفاء) ؟!

ابتسمت فى حنان ، وهى تجلس إلى جواره ، قائلة :

— نعم .. (صفاء) .. لقد لبيت نداء قلبى ، الذى لم ولن يحب سواك .

هتف ، وهو يظن أنه يحلم :

— ولكن (كمال) ؟ ..

اتسعت ابتسامتها الحانية ، وهى تهمس :

— لقد أدرك الحقيقة كلها ، وهو يعلم أنه ما من زواج ناجح يقام على مشاعر متنافرة ، خاصة بعد أن علم أن قلبى ملك لك .

أشرق وجهه بسعادة جمة ، وهو يقول :

— (صفاء) .. قولى لى إننى لست أحلم ، وأن كل هذا حقيقى .

طوّقت ذراعه بذراعيها ، وهى تقول :

— إنه حقيقى يا حبيبى .. هأنذا أمسك ذراعك ، والمضيفة تعلن عن قيام الطائرة ، وسأعود معك ، وأبقى معك إلى الأبد .

رفع وجهها إليه ، وهو يقول :

— أعدك أن أعمل على إسعادك يا (صفاء) ، وأن

أبذل قصارى جهدى ، لأصبح إنساناً آخر يستحق حبك وحنانك .

ألقت رأسها على كتفه . واحتضنت ذراعه فى حنان . وهى تقول :

أنا واثقة من أنك ستفى بوعدك . حتى ولو احتاج الأمر إلى بعض الوقت . وسأنتظر . وأحتمل كل المشاق من أجلك . فما قيمة الحب . لو لم نكن على استعداد للصفح والتحمل ، ومساعدة من نحب .

حلَّقت بهم الطائرة . وسبحا فى سماء أخرى ، وهو يردد فى سعادة :

- نعم . ما قيمة الحب ؟ .

وأشرقت الشمس فى سماء وردية ..

سماء الحب ..

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٧٨٤٨

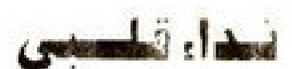
زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



أ . شريف شوقى



صراع حائـــــــر دار فى
قلب وعقل (صفاء) .. صراع
بين رجل أحبته، وكرهت خشونته،
وعنفـه وآخـر يملك كل سـمات
الجاذبية والمشاعر الفياضـة ..
وكان عليها أن تختـــار ..
إما نداء العقل .. أو نداء القلب



الثمن فى مصر
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم